الحاج أمين الحسيني وإسهامه في الإصلاح والتجديد

محسن صالح*

مقدمة:

قبل أن نبدأ خطواتنا الأولى في دراسة الحاج أمين الحسيني (١٨٩٥ ـ ١٩٧٤) باعتباره أحد رجال الإصلاح والتجديد، قد نجد من يشدنا إلى الوراء ويقول: ومن قال لكم إنه من رجال الإصلاح؟ وعلى أي أساس تصنفونه كذلك؟! ولسنا نستعجل الإجابة عن هذا السؤال، ولعل القارئ يصل بنفسه إلى الإجابة في نهاية المقال. غير أننا نلتمس العذر لهؤلاء، لأن معظم الدراسات تناولت الحاج أمين الحسيني باعتباره شخصية سياسية، برزت في قيادة الحركة الوطنية الفلسطينية خلال فترة الاحتلال البريطاني لفلسطين ١٩١٧ـ ١٩٤٨. ويندر أن نجد اسمه في الدراسات المتعلقة بحركات الإصلاح والتجديد. ثم إن الحاج أمين الحسيني من الشخصيات التي كثر الجدل حولها، وتباعدت درجات تقويمه سلباً وإيجاباً. ولسنا هنا في موقع يسمح لنا بمناقشة آراء المحبين والخصوم، ولا التعرض لتجربته السياسية إلا بالقدر الذي يفيدنا في دراسته من الزاوية الإصلاحية.

ترى، **لماذا لم يصنف الحاج أمين رجلاً من رجال الإصلاح عند كثير من الدارسين؟** وما الذي دفع إلى تغييبه عن ساحة المصلحين؟ لعلنا نجد ـ بشيء من التأمل ـ **أربعة أسباب** دفعت إلى ذلك. **أول هذه الأسباب** طغيان الجانب السياسي على حياة الحاج أمين ونشاطه حيث إنه تولى قيادة الحركة الوطنية الفلسطينية في الثلاثينيات

---

*دكتوراه في التاريخ الحديث من جامعة الخرطوم (١٩٩٣)، أستاذ مساعد بقسم التاريخ والحضارة بالجامعة الإسلامية العالمية ـ ماليزيا.

والأربعينيات من هذا القرن، مما دفع الكتاب والدارسين للتعامل معه كأي شخص من السياسيين الآخرين. غير أننا نرى من الزاوية الإصلاحية أنّ العمل السياسي مزية تضاف إلى المصلح، وخطوة متقدمة للأمام لتطبيق الأفكار والآراء والنظريات، وليس عيباً أو منقصة.

والإصلاح السياسي هو جزء من الإصلاح الإسلامي الشامل. بل إن الدور الإصلاحي الذي قام به عمر بن عبد العزيز (٦٠ ـ ١٠١هـ) ـ والذي يعدُّه الكثيرون مجدد القرن الأول الهجري ـ قد تم عندما تولى الخلافة (٩٩ ـ ١٠١هـ)، أي القيادة السياسية للأمة[١].

والسبب الثاني أنه رغم أن هناك مادة متناثرة تعكس رؤى إصلاحية – تستحق التسجيل – للحاج أمين الحسيني إلا أنه لم يكتب كتباً أو مؤلفات متخصصة تعكس نظرياته الإصلاحية أو مناهج عمله لرفعة الأمة الإسلامية ونهضتها، وكتابه "**حقائق عن قضية فلسطين**"[٢] مثلاً يخلو من هذه الرؤى. ولم يصلنا للأسف الكثير من مذكراته ورسائله وآرائه التي كان يحتفظ بها حتى وفاته. إذ إنه بعد وفاته دخلت مجموعة من الخصوم المأزومين داره ومكتب الهيئة العربية العليا ـ مستغلين الفوضى التي كانت تعيشها لبنان في تلك الفترة (سنة ١٩٧٤) ـ فدمروا كل شيء، ثم أحرقوا الدار والمكتب بعد أن فجروا قساطل المياه. ولم يبق شيء من مذكرات الرجل التي كتبت بخط يده، والصور التي تجمعه مع قادة العالم ...، والوثائق والمراسلات والرسائل التي كان يحتفظ بها .. "كل هذا أصبح رماداً"[٣]. ومع ذلك فإن هذا لا يكفي عذراً لطي صفحة الرجل الإصلاحية. إذ لا يزال هناك الكثير من الدلائل والوثائق والإشارات يمكن جمعها من ثنايا الصحف القديمة، ومن المراسلات والمقابلات والخطب التي حفظت لدى أشخاص وجهات أخرى، ثم إن محاولة استيعاب برامج عمله من خلال مناصبه: مفتياً، ورئيساً للمجلس الإسلامي الأعلى في فلسطين، وزعيماً للحركة الوطنية الفلسطينية، يمكن أن تفيد في استكمال الصورة.

وثالث هذه الأسباب ربما يعود إلى طبيعة الحاج أمين التي تميل إلى السرية والحذر، والتحرك الهادئ، والتي تؤثر العمل على الكتابة والتنظير، كما لا تميل إلى الرد على الخصوم، والتي كانت تفضل توكيل عدد من المهام إلى الأعوان الثقات. وهو ما سنرى بعضاً من دلائله في الصفحات التالية.

---

١ انظر مثلاً: Abul Ala Al-Maududi, *A Short History of Revivalist Movement in Islam*, 5th edition (Lahore: Islamic publications, 1981), pp. 45-51.

٢ محمد أمين الحسيني، **حقائق عن قضية فلسطين**، ط٢ (القاهرة: مكتب الهيئة العربية العليا لفلسطين، ١٩٥٧).

٣ زهير الماردينى، **ألف يوم مع الحاج أمين الحسيني** (دون مكان: دون ناشر، ١٩٨٠)، ص ٧.

والسبب الرابع هو كثرة خصوم الحاج أمين، سواء أكان ذلك في عهد زعامته أم في غمرة المد القومي الاشتراكي العربي في الخمسينيات والستينيات. ففي عهد زعامته كان هناك الكثير من المنافسين الذين يتسقطون الزلات ويزايدون عليه. أما بعد كارثة ١٩٤٨ فكان هناك أطراف يسعدها تغييبه، حتى تأخذ الفرصة في قيادة الساحة الفلسطينية والعربية فكرياً وسياسياً، خصوصاً وأنه كان يمثل رمزاً إسلامياً، ويتمتع بشعبية هائلة وسط الشعب الفلسطيني.

الجوانب المؤثرة في تكوين شخصية الحاج أمين:

ولد محمد أمين بن محمد طاهر بن مصطفى الحسيني سنة ١٨٩٥م في القدس[٤] وبالتالي فقد عاش طفولة كانت المنطقة العربية الإسلامية تمر فيها بأحداث جسام. فالدولة العثمانية، التي كان أحد رعاياها، كانت تسير بشكل متسارع نحو الانهيار، والمشروع الاستعماري الغربي كان يلتهم بلاد المسلمين قطعة قطعة. وكان عمر الحاج أمين سنتين فقط عندما تأسست المنظمة الصهيونية العالمية في مدينة بال بسويسرا سنة ١٨٩٧، ودشنت مشروع إنشاء الدولة اليهودية على أرض فلسطين، والذي بدأ يتخذ شكلاً عملياً بالتوافق مع المشروع الاستعماري الغربي[٥].

وفي المقابل كان هناك شعور متزايد وسط المسلمين بطبيعة التحديات والمخاطر المحتملة، فنشطت مدرسة "الجامعة الإسلامية" التي نادى بها جمال الدين الأفغاني ١٨٣٧-١٨٩٧، ومحمد عبده ١٨٤٩-١٩٠٥، ومحمد رشيد رضا ١٨٦٥-١٩٣٥، والتي تبناها السلطان عبد الحميد الثاني خلال فترة حكمه ١٨٧٦-١٩٠٩[٦]. كما بدأت الأفكار القومية تتسرب إلى العالم الإسلامي، فنجح حزب الاتحاد والترقي في إزاحة السلطان عبد الحميد وتبني سياسات التتريك. وسرت ردة فعل قوية في الولايات العربية العثمانية تمثلت في إنشاء الجمعيات والأحزاب العربية والمطالبة بحقوق العرب ضمن الدولة العثمانية، ثم فيما بعد في الثورة عليها سنة ١٩١٦، والسعي لإنشاء حكم عربي بقيادة الشريف حسين بن علي[٧].

---

٤ هناك خلاف حول سنة ميلاده، ولعل أقربها للدقة سنة ١٨٩٥. انظر حول ذلك: Mattar, op.cit., p. 6, and p. 128.

٥ حول نشأة المنظمة الصهيونية العالمية، انظر مثلاً: أسعد عبد الرحمن، **المنظمة الصهيونية العالمية: ١٨٨٢-١٩٨٢**، ط٢ (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٠)، ص ٣٤ - ٣٥.

٦ حول حركة "الجامعة الإسلامية"، انظر مثلاً: أحمد الشوابكة، **حركة الجامعة الإسلامية** (الزرقاء، الأردن: مكتبة المنار، ١٩٨٤).

٧ حول هذا الموضوع، انظر مثلاً: محمد عزة دروزة، **نشأة الحركة العربية الحديثة: انبعاثها ومظاهرها وسيرها في زمن الدولة العثمانية إلى أوائل الحرب العالمية الأولى** (صيدا، لبنان: المكتبة العصرية، دون تاريخ).

وبلا شك، فإن معايشة مثل هذه الظروف، كان لها انعكاساتها على طبيعة تفكير وتوجهات الحاج أمين الحسيني. أما إذا أردنا أن نستحضر الجوانب التي لعبت دوراً مباشراً في تكوين شخصية الحاج أمين، فلعلنا نجدها في ثلاثة جوانب:

الجانب الأول: العائلة: فالحاج أمين ينتمي إلى عائلة الحسيني وهي من عائلات "الأشراف" الذين ينتسبون إلى رسول الله ﷺ. وهي من أكبر العائلات نفوذاً في فلسطين، وكان لها مكانتها المعتبرة لدى الدولة العثمانية. وقد جمعت بين مزايا الغنى المادي والنفوذ السياسي والمكانة العلمية[٨]. وتوارثت هذه العائلة منصب مفتي القدس لفترات طويلة. فقد تولى هذا المنصب جد الحاج أمين (مصطفى) معظم الفترة ١٨٣٢ــ١٨٦٥، ثم تولاه والده طاهر ١٨٦٥ــ١٩٠٨، ثم أخوه كامل ١٩٠٨-١٩٢١، كما تولت هذه العائلة رئاسة بلدية القدس فترات طويلة[٩]. وكان يتم اختيار ممثلين لمجلس "المبعوثان العثماني" من هذه العائلة، كما برز منها أشخاص تولوا مناصب عالية في الدولة العثمانية مثل موسى كاظم الحسيني[١٠].

إن الظروف العائلية المواتية قد هيأت الظروف المناسبة لبروز الحاج أمين الحسيني مستفيداً من التقاليد الموروثة التي تعطي هذه العائلة مكانة مرموقة وزخما شعبياً بين الفلسطينيين كما يسر له ذلك سهولة الاطلاع على الأحوال السياسية والأوضاع الاجتماعية في تلك الفترة. ومن ناحية أخرى فإن غنى العائلة لم يجعل الحاج أمين مهموماً بالبحث عن الرزق في مرحلة الصبا، مما أعانه على أن يصرف اهتمامه للتعليم وزيادة ثقافته.

الجانب الثاني: التعليم واتصاله برجال الإصلاح: تلقى الحاج أمين تعليمه منذ حداثته على يد والده مفتي القدس طاهر الحسيني، وبدأ قراءة القرآن وحفظه ودراسة العلوم الشرعية واللغة العربية، ثم درس في مدارس الحكومة العثمانية، وفي مدرسة "الفرير" في القدس[١١].

وكان أول اتصال واضح له برجال الإصلاح عندما ذهب إلى مصر وقضى هنالك سنتين ١٩١١-١٩١٣ يدرس في الجامع الأزهر، وفي "مدرسة الدعوة والإرشاد" التي

---

٨ انظر: الماردين، **مرجع سابق**، ص ٢٨، وكامل خلة، **فلسطين والانتداب البريطاني ١٩٢٢ ــ ١٩٣٩** (طرابلس، ليبيا: المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، ١٩٨٢)، ص ٢٩.

٩ انظر: عادل مناع، **أعلام فلسطين في أواخر العهد العثماني ١٨٠٠ ــ ١٩١٨**، ط٢ (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٩٥)، ص ١١٧، وص ١٢٢، وص ١٣١.

١٠ عجاج نويهض، **رجال من فلسطين** (بيروت: منشورات فلسطين المحتلة، ١٩٨١)، ص ٩٨ ـ ٩٩.

١١ الماردين، **مرجع سابق**، ص ٢٨.

أسسها الشيخ محمد رشيد رضا. وكان في مدرسة الدعوة والإرشاد طلاب مختارون من مختلف البلاد الإسلامية، وقد توخى رشيد رضا أن يخرج رجالاً كملت أوصافهم وبعدت هممهم ليكونوا حملة الدعوة والإصلاح في العالم الإسلامي. وقد تتلمذ الحاج أمين في هذه الفترة على يد رشيد رضا والتزم بمدرسته الدعوية "الجامعة الإسلامية" وحافظ على استمرارها بعد وفاة رشيد رضا[١٢].

ولا شك أن تعلم الحاج أمين في مدرسة الدعوة والإرشاد قد وفر له فرصة استثنائية، إذ إن الشيخ رضا وضع في هذه المدرسة خلاصة تجربته الإصلاحية، وعدّها "منتهى رجائي في خدمة الإسلام، وغاية سعيي في إصلاح التربية والتعليم"[١٣] على حد تعبيره. وكان منهاج المدرسة يجمع بين العلوم الإسلامية والعلوم العصرية، ووضعت الكتب بلغة سهلة وأسلوب عصري. وأكد نظام المدرسة على حرية التفكير واستقلال الرأي لدى الطلبة، وترك لهم حرية اختيار مذاهبهم الفقهية دون تعصب أو مغالاة. واهتم نظام المدرسة بإعداد الطلبة خطباء ومتكلمين في المحافل العامة من خلال التدريب العملي المستمر. ثم إن وجود الطلبة من مختلف البلاد العربية ومن الصين والهند والملايو وإفريقيا الشمالية والشرقية وتركيا وتركستان، قد كسر الحواجز المحلية والإقليمية، وأعان الطلبة على أن يعيشوا في جو إسلامي أخوي[١٤]. وهي بذلك تقدم نموذجاً عملياً لفكرة "الجامعة الإسلامية". وقد انعكس ذلك كله على شخصية الحاج أمين كما سنرى فيما بعد.

ومن جهة أخرى، فإن رشيد رضا كان من قادة الجمعيات والأحزاب العربية التي نادت بالإصلاح في إطار الدولة العثمانية. وواجهت سياسة التتريك التي قادها حزب الاتحاد والترقي. فقد كان رشيد رضا عضواً قيادياً في "حزب اللامركزية الإدارية العثماني" الذي تأسس في ديسمبر ١٩١٢[١٥]. كما أسس رشيد رضا "جمعية الجامعة العربية" وهي جمعية سرية تعتمد الانتقاء في عضويتها وركزت في البداية على الأمراء والزعماء العرب في الجزيرة العربية[١٦].

لم يكن الحاج أمين الحسيني بعيداً عن هذا النشاط وسنراه يتبع خطى شيخه وأستاذه فيما بعد. فإذا كان رشيد رضا قد ركز على الجانب التربوي التعليمي الذي اهتم

---

١٢ **المرجع نفسه**، ص ٣٠، وعجاج نويهض، **مرجع سابق**، ص ٣٠٣.
١٣ أحمد الشوابكة، **محمد رشيد رضا: ودوره في الحياة الفكرية والسياسية** (عمان: دار عمار، ١٩٨٩)، ص١٢٧.
١٤ انظر: **المرجع نفسه**، ص ١٢٤.
١٥ **المرجع نفسه**، ص ٢٣٤ ـ ٢٣٥.
١٦ **المرجع نفسه**، ص ٢٥٣ ـ ٢٦٣.

به شيخه محمد عبده، كما ركز على الجانب السياسي الذي اهتم به جمال الدين الأفغاني، وحاول الجمع بين الأمرين، فإننا نجد الحاج أمين يتبع نفس الخطى ويهتم بالجانبين السياسي والتعليمي ويضيف إليهما ما أعانته ظروف مرحلته على إضافته. وإذا كان رشيد رضا قد ركب في الوقت نفسه جوادي "الجامعة الإسلامية" و"الجامعة العربية" دون أن يشعر بتناقض أو تعارض، لأن أساس الجامعة العربية لديه كان مبنياً على الدين واللغة والوطن مرتبة حسب أهميتها[١٧] فإننا نجد الحاج أمين يمتطي الجوادين نفسيهما ويكون زعيماً "للجامعة الإسلامية" و"الجامعة العربية" في فلسطين حتى سنة ١٩٤٨.

وهناك دلائل أن الحاج أمين الحسيني انتمى للجمعيات العربية السرية أثناء الحكم العثماني. ويؤيد ذلك انضمامه لجيش الشريف حسين ونشاطه الفاعل في تجنيد عرب فلسطين في هذا الجيش ضد الأتراك، ثم تأسيسه ورئاسته "للنادي العربي" في فلسطين ١٩١٨، ودعمه للحكم الشريفي في دمشق. كما كان في طليعة منظمي أول مؤتمر عربي فلسطيني في القدس ٢٧ يناير ١٩١٩ حيث أخذ يوجه معارضته للسلطة البريطانية ويطالب باستقلال فلسطين ضمن الوحدة العربية[١٨].

الجانب الثالث: التكوين العسكري: بعد أن رجع الحاج أمين من مصر التحق بالمعاهد العسكرية العثمانية في الآستانة سنة ١٩١٣. وتخرج ضابطاً في الجيش العثماني في أغسطس ١٩١٦، وأرسل إلى أزمير ضابطاً في الفرقة ٤٦، إلا أنه في السنة التالية استطاع أخذ الإذن بالسفر إلى القدس، ولم يرجع إلى فرقته، وإنما انضم ـ كما سبقت الإشارة ـ إلى جيش الشريف حسين[١٩].

استمرت حياته العسكرية حوالي أربع سنوات، ولا شك أن التدريب العسكري والحياة العسكرية تركت آثارها في التكوين الشخصي للرجل بما تنفح به شخصيته من روح الرجولة والجدية والتحدي والصبر، وتلفت أنظاره إلى أهمية الجيش والسلاح والكفاح المسلح في تقرير مصير الشعوب. وسنرى ذلك جزءاً من برنامجه في مقاومة الاستعمار البريطاني والمشروع الصهيوني، سواء من خلال العمل السري أو الثورة المكشوفة. ولم يكن الحاج أمين يتردد في القول فيما بعد: "إنني ضابط قديم لي خبرتي في

---

١٧ **المرجع نفسه**، ص ٢٢٥. وفي رأي رشيد رضا: أن من يتكلم العربية هو عربي ولو كان من غير العرب. انظر: **المرجع نفسه**.

١٨ انظر: عجاج نويهض، **مرجع سابق**، ص ٣١٤، وص ٣٢١.

١٩ **المرجع نفسه**، ص ٣١٥، وانظر:

Taysir Jbara, *Palestine Leader haj Amin Al-Hussayni* (Prinston, U.S.A.: The Kingston Press, 1985), pp. 15 - 17.

الحرب، وليس الدم الذي يجري في عروقي دم العلماء فحسب وإنما دم المجاهدين .."[٢٠].

الرؤية الإصلاحية للحاج أمين:

ترتكز الرؤية الإصلاحية للحاج أمين الحسيني على برنامج "الجامعة الإسلامية" ومدرسة أستاذه الشيخ محمد رشيد رضا. ومن قرأ في مذكراته وجد مقتطفات حول فكرة الجامعة الإسلامية من كلام جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا[٢١].

ومن الواضح أن الحاج أمين حافظ على صلته القوية برشيد رضا حتى وفاته سنة ١٩٣٥. وحافظ على أدب التعامل معه أستاذاً ومرشداً. فهو عندما يخاطب رشيد رضا ويدعوه للمؤتمر الإسلامي العام المنوي عقده في ديسمبر ١٩٣١ يبجله كثيراً ويبدأ رسالته قائلاً: "مولانا صاحب السماحة الأستاذ الأكبر العلامة السيد رشيد رضا متّع الله المسلمين بطول بقائه" ويطلب الاستشارة بشأن المؤتمر "لتتفضلوا بإبداء رأيكم الحكيم، ونظركم الصائب، وإرشادكم الثمين في هذا العمل ..." ويستعين به في اقتراح أسماء المدعوين للمؤتمر. ويعدُّ الحاج أمين تنظيمه لهذا المؤتمر امتداداً لجهود رشيد رضا في جمع كلمة المسلمين وتناصرهم، ويشير إلى أن من أهداف المؤتمر "تحقيق فكرة إنشاء الجامعة الإسلامية التي كنتم أول من عمل على تحقيقها بتأسيسكم دار الدعوة والإرشاد"[٢٢]. وفي رسالة أخرى لرشيد رضا بشأن المؤتمر يرى الحاج أمين أن حضوره "قيمة كبيرة، وسبب عظيم لإنجاح المؤتمر نفسه، وتحقيق غاياته ومقاصده". ونقل إليه باسم اللجنة التحضيرية الرجاء بوضع تقرير بشأن **الإصلاح الإسلامي** ليطرح في المؤتمر ورغم أن رشيد رضا ـ الذي حضر المؤتمر ـ لم يتمكن من كتابة هذا التقرير إلا أنه طرح ما يراه من الإصلاح خلال جلسات المؤتمر، وتم تعيينه رئيساً للجنة الدعوة والإرشاد في المؤتمر[٢٣].

غير أن الصلة بين الرجلين لا تقتصر على هذا المؤتمر ـ الذي ربما كان أهم المؤتمرات الإسلامية العالمية في النصف الأول من القرن العشرين ـ بل نجدهما متوافقين في دعم ثورة الشريف حسين. ونجد رشيد رضا ينتقل إلى سوريا ١٩١٩ ليعاون الملك فيصل ابن الحسين في قيادة سوريا[٢٤]، بينما نجد الحاج أمين يمثل أحد أهم العناصر الناشطة في

---

٢٠ المارديني، **مرجع سابق**، ص ٩٤.

21 Jbara, **op.cit.**, p. 16.

٢٢ أرسلت هذه الرسالة في ٢١ سبتمبر ١٩٣١، انظر نص الرسالة في: عبد العزيز الثعالبي، **خلفيات المؤتمر الإسلامي بالقدس ١٩٣١**، تحقيق حمادي الساحلي (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٨)، ص ١٤٤ ـ ١٤٥.

٢٣ **المرجع نفسه**، ص ١٤٦ ـ ١٤٧.

٢٤ الشوابكة، **محمد رشيد رضا**، ص ٢٨٤.

تلك الفترة في دعم الحكم العربي في سوريا ويصبح "أكثر فأكثر رأس الحركة الرابطة بين فلسطين ودمشق، حتى سقوط هذا الحكم على يد الفرنسيين في يوليو ١٩٢٠"[٢٥].

وعندما ذهب الوفد الإسلامي الفلسطيني إلى مصر في يونيو ١٩٢٢ قام رشيد رضا بمساعدته، وبمعاونة منه أصدر مفتي مصر وشيخ الأزهر فتوى يدعوان فيها إلى الدفاع عن المسجد الأقصى[٢٦]. كما دعم رشيد رضا حملة إعمار المسجد الأقصى التي تولاها الحاج أمين وأسهم في إنجاح حملة جمع التبرعات في مصر[٢٧]. ومن جهة أخرى فقد شجع الحاج أمين إنشاء فروع لجمعيات الشبان المسلمين في فلسطين التي كانت قد نشأت في مصر سنة ١٩٢٧ برئاسة عبد الحميد سعيد. وكان رشيد رضا من مؤسسيها وعضواً في مجلس إدارتها وقام بتنقيح قانونها الأساسي ووضعه بصورته النهائية وشارك في أغلب مشروعاتها العملية على الساحة المصرية والعربية والإسلامية[٢٨]. وقد بدأ تشكيل هذه الفروع في فلسطين سنة ١٩٢٨ وكان لها دور هام في نشر الروح الإسلامية والوطنية، وروح الرجولة والاعتماد على النفس، ومناهضة المشروع الصهيوني والاستعمار البريطاني خلال ١٩٢٨ ـ ١٩٣٥. وكان العديد من رجالاتها من المقربين للحاج أمين. وقد تعرضت هذه الجمعيات لتضييق ومحاربة السلطات البريطانية، واعتقلت عدداً من قياداتها، وأغلقت بعض فروعها. ورغم أن هذه الجمعيات استمرت في لعب دورها إلا أنها ضعفت مع نشوء الأحزاب السياسية الفلسطينية في منتصف الثلاثينيات حيث تحول معظم أعضائها إلى هذه المنابر الجديدة للعمل الوطني الفلسطيني[٢٩].

وعندما قاد الحاج أمين حملة لمنع بيع الأراضي لليهود في منتصف الثلاثينيات استصدر فتوى من أستاذه محمد رشيد رضا بتحريم بيع أي شيء من أرض فلسطين وما حولها لليهود أو الإنجليز[٣٠].

وهكذا فإن صلة الحاج أمين بأستاذه ظلت حتى وفاته، واستمر أثر رشيد رضا في نصح ومساعدة الحاج أمين إلى النهاية.

---

٢٥ عجاج نويهض، **مرجع سابق**، ص ٣٢١.

26 Y. Porath, *The Emergence of the Palestine National Movement 1918 - 1929* (London: Frank Cass, 1974), pp. 263 - 264.

٢٧ المارديني، **مرجع سابق**، ص ٤٦ ـ ٤٨.

٢٨ الشوابكة، **محمد رشيد رضا**، ص ١٦٠ ـ ١٦١.

٢٩ انظر حول هذه الجمعيات في فلسطين: بيان الحوت، **القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين ١٩١٧ ـ ١٩٤٨** (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٨١)، ص ١٨٩ ـ ١٩١، وعجاج نويهض، **مرجع سابق**، ص ٢٢٦، وأحمد الشقيري، **أربعون عاماً في الحياة العربية والدولية** (بيروت: دار النهار، ١٩٦٩)، ص ١١٠ ـ ١١١.

٣٠ انظر نص الفتوى في: بيان الحوت، **مرجع سابق**، ص ٢٩٥، وص ٧٤١.

لم يكن الحاج أمين نسخة "كربونية" من أستاذه رشيد رضا، إذ إنه عاش ظروفاً وتحديات مختلفة. فقد كان لطبيعة التحدي الذي يمثله المشروع الصهيوني ـ الاستعماري في فلسطين أثر في أشكال المواجهة التي اختارها الحاج أمين. فهو مشروع لا يستهدف استغلال خيرات البلاد واستنزاف طاقاتها فقط وإنما يرمي إلى إنشاء دولة يهودية، وإحلال اليهود محل أصحاب البلاد الشرعيين، ومسح الهوية الإسلامية لأرض فلسطين، وتكوين ركيزة يهودية ـ استعمارية توسعية تبقي على ضعف المنطقة العربية الإسلامية وتمنع أي وحدة ونهضة حضارية محتملة. ثم إن الحاج أمين سنحت له فرص أرحب للعمل من خلال رئاسته للمجلس الإسلامي الأعلى وزعامته للشعب الفلسطيني.

وفي **رؤيته الإصلاحية** ركز الحاج أمين على **نشر روح التدين ومحاربة الفساد**. ولذلك نرى أن للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مكانة مهمة في تفكيره. فهو يرى أنه عندما ترك المسلمون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، زادت المنكرات وفسدت النفوس. وأنه بسبب ترك هذا الواجب "فإننا نهاجم الآن في عقائدنا وديننا وبلدنا وأراضينا وتقاليدنا وأخلاقنا ولغتنا ..."[٣١]. وأرجع جانباً من أسباب الفساد إلى انتشار المدارس الأجنبية والتبشيرية في فلسطين وإرسال المسلمين أبناءهم إليها، وهي مدارس تعمل ـ حسب رأيه ـ على تدمير العقائد الإسلامية والأخلاق العربية، ويتخرج منها أجيال تستخف بالدين، وتهزأ بالتقاليد والعادات. كما نبه الحاج أمين إلى خطورة الإعلام، فانتقد بيوت التسلية والسينمات، ونشر الروايات والثقافة والمطبوعات الفاحشة، التي تهاجم الأخلاق وتدمر البناء الاجتماعي[٣٢].

ويربط الحاج أمين في رؤيته بين انتشار الترف والفساد وبين الوقوع في الخيانة الوطنية ببيع الأراضي لليهود. فهو يرى أنه أينما يكون الترف فإن المترف بحاجة إلى ثروة كبيرة، ولتحقيق هذه الحاجة، فإن هناك أناساً يعبدون المال من دون الله، ولا يبالون إطلاقاً بكيفية الحصول عليه. وفي هذه اللحظة يقعون في بيع الأراضي لليهود ويقطّعون الأرض المقدسة، ويلعب السماسرة والخونة دورهم في ذلك مقابل الحصول على مكاسب مادية. والحاج أمين لا يرى حلاً لذلك إلا العودة إلى الله "لقد جربنا

---

٣١ من نص كلمة الافتتاح التي ألقاها الحاج أمين في مؤتمر علماء فلسطين الأول في ٢٥ يناير ١٩٣٥، ونشرته **جريدة الجامعة العربية** في ٢٧ يناير ١٩٣٥. انظر:

Enclosure I, High Commissioner of Palestine to Secretary of State for Colonies, 4 Mar. 1935, Publci Record Office (P.R.O.), London, Colonial Office (C.O.) 733/278/13.

32 Ibid.

كل دواء، والدواء الوحيد الآن هو اللجوء إلى الله، ومحاربة دعاة اليأس والهزيمة، وقيام العلماء بواجبهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"[٣٣].

إن هذا الربط يقدم تحليلاً دينياً لمسألة الخيانة هذه، فبقدر ما ينتشر الفساد وروح الأنانية والابتعاد عن الدين وعبادة المال، بقدر ما تحصل الخيانة، وتنعدم روح المسئولية تجاه الأرض المقدسة، فيتم بيعها وتقطيعها.

وللحاج أمين رؤيته الواضحة لفكرة "**القابلية للاستعمار**" التي نحت مصطلحها ونظّر لها بإسهاب المفكر الإسلامي "مالك بن نبي"[٣٤]. يقول الحاج أمين في كلمته التي ألقاها في ٧ مايو ١٩٣٦ في افتتاح مؤتمر اللجان القومية بالقدس:

"إن الانتداب والاستعمار لا يتمان إلا بموافقة فريقين. الفريق الأول الذي يريد أن ينتدب أو يستعمر، والفريق الثاني الذي يوافق ويقبل على نفسه أن يُستعمر وينتدب عليه، فإذا أبى أحد الفريقين فلن يكون ذلك بالإمكان.

وإن الأمة التي لا تقبل أن تحكم لا يستطيع أن يحكمها أحد، والتي لا ترضخ للذل والاستعباد لا يستطيع أن يستعبدها أحد و﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ (الرعد: ١١) و﴿ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (يونس: ٤٤)..."[٣٥].

ودعا الحاج أمين إلى مواجهة الظلم وعدم ترك البلاد غنيمة للطامعين وإلى تحمل المسئولية، وقال بصراحة إن "أشد اللوم ينبغي أن يقع علينا، فلماذا نقبل الظلم ونحن أباة الضيم من قديم. وإن من يقبل الظلم لأجدر باللوم من ظالمه"[٣٦]. وقد أكد الحاج أمين على هذا المعنى أكثر من مرة، ومنها خطبته في اجتماع مؤتمر العالم الإسلامي الذي انعقد في ١٦ ــ ٢١ سبتمبر ١٩٦٧ إثر عدوان ١٩٦٧ واحتلال الكيان الإسرائيلي لباقي أراضي فلسطين. فقد أشار إلى أن "الأمة التي ترضخ للظلم، تشجع الظالمين وتكون أجدر باللوم من الظالمين أنفسهم"[٣٧].

---

33 Ibid.

٣٤ مالك بن نبي (١٩٠٥ ـ ١٩٧٣) مفكر إسلامي جزائري، انظر حول فكرة القابلية للاستعمار في كتابه **شروط النهضة**، ترجمة عبد الصبور شاهين وعمر كامل مسقاوي (القاهرة: دار العروبة، ١٩٦١).

٣٥ عبد الوهاب الكيالي، **وثائق المقاومة الفلسطينية العربية ضد الاحتلال البريطاني والصهيونية ١٩١٨-١٩٣٩**، ط٢ (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٨٨)، ص ٣٩١.

٣٦ **المرجع نفسه**، ص ٣٩١ ـ ٣٩٢.

٣٧ الهيئة العربية العليا لفلسطين، **المقدسات الإسلامية في فلسطين والمطامع اليهودية الخطيرة**، ط٢ (بيروت: الهيئة العربية العليا لفلسطين، ١٩٦٨)، ص ٧٢.

ومن جهة أخرى فقد كان الحاج أمين من أبرز الداعين إلى **الوحدة الإسلامية والتضامن الإسلامي**. ففي خطاب ألقاه في جمعية الشبان المسلمين في القاهرة في مارس ١٩٣١ دعا إلى الوحدة الإسلامية "كناظم لعقد الشعوب الشتيتة في أقطار الأرض التي يوحد بينها الإسلام ويجعلها قوة مهيبة لا تغلب"[٣٨]. وهو يشجع أن يعتاد المسلمون **عقد المؤتمرات** ليبحثوا ويقررا فيها أهم ما لديهم من قضايا، ويعدُّ ذلك إحياءً للأخوة الإسلامية، وتقوية لصفوف المسلمين. ففي رسالته ــ مثلاً ــ إلى أعضاء الحزب الدستوري الحر التونسي في ٨ أكتوبر ١٩٣١ يقول:

"ولا يخفى على حضراتكم أن إنشاء الصلة الإسلامية الوطيدة الأركان بين تونس في شمال إفريقيا والأقطار العربية من فلسطين وسوريا والعراق وسواها بات ضرورة مبرمة في هذه الأيام. وقد دلت التجارب المتكررة أن الإقبال على المحافظة على المصالح الإسلامية المقدسة يجب أن يدخل في دور جديد من النظام والأسلوب نحو الغاية العامة المتوخاة. وأهم هذا أن يعتاد المسلمون الاجتماع والبحث والتقرير في أعظم ما لديهم من القضايا العامة. وفي هذا العمل إحياء للأخوة الإسلامية وتأسيس للرابطة الجامعة التي تولي القوة بكل فريق من المسلمين وهم مجتمعون متحدون"[٣٩].

ويرى الحاج أمين أنه **"لا بد لتوحيد الأمة من توحيد ثقافتها"**، ونعى على الحدود التي قامت بين أجزاء الأمة في عصور الانحطاط والاحتلال ففرقتها فنشأت فروق في اللهجات والعادات[٤٠]. وعندما دعا إلى المؤتمر الإسلامي العام سنة ١٩٣١ ذكر أن من أهدافه الاهتمام بالثقافة "وتوحيد طرق التعليم والتهذيب بين المسلمين"[٤١].

واهتم الحاج أمين بمعالجة بعض المظاهر التي كان لوجودها انعكاس سلبي على وحدة المسلمين، فحثَّ على دراسة مسألة توحيد التاريخ الهجري، وتوحيد أيام الصيام والأعياد. ولم يكن لديه مانع أن يستفاد من خبرة علماء الفلك ليفيدوا في هذا الشأن[٤٢].

وعندما قام الحاج أمين بتشكيل نواة جيش عربي سنة ١٩٤٣ أثناء وجوده في ألمانيا من جنسيات مغربية وتونسية ومصرية وعراقية وفلسطينية وغيرها، عدَّ ذلك

---

٣٨ علي محافظة، **الفكر السياسي في فلسطين: من نهاية الحكم العثماني حتى نهاية الانتداب البريطاني ١٩١٨-١٩٤٨** (عمّان: مركز الكتاب الأردني، ١٩٨٩)، ص ٣٣٧.

٣٩ الثعالبي، **مرجع سابق**، ص ٢٣٥ - ٢٣٦.

٤٠ الماردينى، **مرجع سابق**، ص ٢٠١.

٤١ الثعالبي، **مرجع سابق**، ص ٢٢١ - ٢٢٣.

٤٢ **المرجع نفسه**، ص ١٦١ - ١٦٢.

"وسيلة مزج عناصر الأمة، ومقدمة الوحدة"[٤٣].

وفي رسالته السرية للزعيم الهندي شوكت علي في ٢٢ إبريل ١٩٢٨، والتي دعاه فيها إلى القيام بحركة احتجاج ضد المقاصد التبشيرية في فلسطين وشرق الأردن وكذلك الاحتجاج على السياسة الاستعمارية لدعمها في السر أعمال المبشرين، أوضح مبررات هذا الاحتجاج "حتى تعلم السياسة التبشيرية أن المسلمين جسد واحد، إذا تألم عضو أخذ الألم مأخذه من سائر الأعضاء في الجسم الإسلامي، وأن المسلمين كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً، وأن دار الإسلام واحدة، وأن كلمة المسلمين في الذب عن حياض الدين واحدة في العالم الإسلامي"[٤٤].

وتبع الحاج أمين مدرسة شيخه رشيد رضا في السعي للتوفيق بين السنة والشيعة، وبناء علاقة حسنة مع الشيعة لتحقيق تضامن إسلامي في وجه الكثير من التحديات التي تواجه الطرفين. وكان من نماذج ذلك دعوة المجتهد الشيعي العراقي الكبير محمد حسين آل كاشف الغطاء إلى المؤتمر الإسلامي العام في القدس ١٩٣١. وقد اقترح الحاج أمين أن يؤم الشيخ آل كاشف هذا الجمع الإسلامي "تمكيناً للرابطة الإسلامية بين مذاهب الأمة"، وبارك رشيد رضا هذا الاقتراح، فتولى آل كاشف إمامتهم طيلة فترة انعقاد المؤتمر. كما أمَّ المسلمين في صلاة الجمعة في المسجد الأقصى[٤٥]. وقد استمرت العلاقة قوية بين الحاج أمين وآل كاشف وغيره من قادة الشيعة. وفي سنة ١٩٣٥ وبناء على دعوة من الحاج أمين أصدر آل كاشف فتوى بتحريم بيع أي جزء من أرض فلسطين لليهود، وعدَّ من يفعل ذلك محارباً لله ورسوله ومرتداً يُشهَّر به ولا يدفن في مقابر المسلمين[٤٦].

وهكذا فإن النفس الوحدوي كان حاضراً في ذهن الحاج أمين نظرياً وعملياً، غير أن معنى الوحدة الإسلامية كان يكتسب مغزى إضافياً لدى الحاج أمين، يرتبط بطبيعة الصراع، وخطورة التحدي الصهيوني ـ الاستعماري على أرض فلسطين. فقد كان الحاج أمين يرى أن شعب فلسطين لا يستطيع أن يقوم وحده بمجابهة هذا التحدي الذي تدعمه قوى دولية كبرى، ودوائر نفوذ يهودية عالمية فعَّالة. ولذلك كان يرى **توسيع دائرة**

---

٤٣ المارديني، **مرجع سابق**، ص ٢٠١.

٤٤ استطاعت المخابرات البريطانية الاطلاع على الرسالة قبل وصولها إلى شوكت علي، واحتفظت سراً بنسخة منها قبل أن تتابع طريقها إلى شوكت علي. انظر نص الرسالة في: C.O. 733/173/3.

٤٥ انظر: الثعالبي، **مرجع سابق**، ص ٣٥٧، والشوابكة، **محمد رشيد رضا**، ص ٥١.

٤٦ انظر نص الفتوى في: بيان الحوت، **مرجع سابق**، ص ٧٤١.

الصراع ضد المشروع الصهيوني ـ الاستعماري بحيث يتوحد المسلمون جميعاً في مواجهته. وكان يرى أنه بتقوية الروابط بين فلسطين والأقطار الإسلامية الأخرى "تتمهد السبل، إن شاء الله إلى إنقاذ هذه البلاد المقدسة من الأخطار العظيمة المحدقة بها"[٤٧].

وكان الحاج أمين يرى أن يتشكل في فلسطين ـ وخصوصاً القدس ـ "مركز إسلامي قوي يعضده العالم الإسلامي" ... ليواجه "الخطر اليهودي الذي يحاول ابتلاع فلسطين والبقاع المشرفة الإسلامية فيها وفي مقدمتها المسجد الأقصى". ولاحظ أن الوكالة اليهودية والجمعية الصهيونية يعضدهما العالم اليهودي قاطبة، كما أن للعالم المسيحي تشكيلات دينية خطيرة ومراكز مسيحية يعضدها جميع المسيحيين في العالم. ولذلك أكد أن يكون مركز المكتب الدائم للمؤتمر الإسلامي في القدس التي هي "مركز التنافس بين الأديان" وحتى "يستطيع المسلمون أن يحتفظوا بالتوازن في هذا المعمعان الديني، وأن لا ينهزموا أمام الحملات الأخرى التي تشنها الأمم غير الإسلامية"[٤٨].

وكما حملت دعوته للتضامن الإسلامي مع فلسطين بُعداً عقلياً منطقياً، فقد حملت أيضاً بعداً عاطفياً يحمل معنى الاستغاثة، ويضع المسلمين أمام مسئولياتهم. ففي خطابه لعلماء فلسطين في ٢٥ يناير ١٩٣٥ وجه كلمة إلى العالم الإسلامي قال فيها:

ولنا كلمة نوجهها إلى إخواننا في الأقطار العربية والإسلامية ـ الذين حيل بيننا وبينهم ـ وهي إذا ظلوا ينظرون إلى هذه المأساة، مأساة الأندلس الأخرى، غير مبالين ولا مكترثين، كان موقفهم هذا لا يرضي الله ورسوله ولا يرضي تاريخ الإسلام الذي آخى بين المسلمين. وليعلموا أن المصيبة في هذه البلاد التي أوقعها سوء حظها بين براثن الطامعين، سوف لا تنحصر فيها بل تتعداها إلى الأقطار والمقدسات الإسلامية الأخرى[٤٩].

وبنفس هذا المعنى وجه نداء إلى العالم العربي والإسلامي في كلمة ألقاها في ٧ مايو ١٩٣٦ "إن أهل هذه البلاد يستنجدون بكم فأدركوهم قبل أن تصبح فلسطين أندلساً ثانية، وتندمون ولات حين ندم" ... "إن تهويد هذه البلاد لا ينحصر ضرره بأهلها فحسب، ولكنه يصيب البلاد العربية بأسرها، ويمزقها شرَّ ممزق" ويختم ببيت الشعر:

تداركونا وفي أعضائنا رمقٌ فلن يعود اخضرار العود إن يبسا[٥٠]

---

٤٧ من رسالة من الحاج أمين إلى رشيد رضا في ٩ سبتمبر ١٩٣١، انظر نص الرسالة في الثعالبي، **مرجع سابق**، ص١٤٤-١٤٥.

٤٨ **المرجع نفسه**، ص٢٨٦-٢٨٧، وص٢٩١-٢٩٢، وص٢٩٧.

٤٩ بيان الحوت، **مرجع سابق**، ص٢٩٤-٢٩٥.

٥٠ الكيالي، **وثائق المقاومة**، ص٣٩٣.

ويتبع الحاج أمين الحسيني مدرسة أستاذه رشيد رضا في فهم **العروبة**. فلا ينظر إليها كشكل من أشكال التعصب، ولا يراها تعارضاً مع فكرة الجامعة الإسلامية وإنما مرحلة من مراحلها ومكملاً لها. ولذلك دعا إلى الوحدة العربية[٥١]. كما استفاد من فكرة العروبة لتوحيد الصف الوطني المسلم المسيحي ضد المشروع الصهيوني ـ الاستعماري. فكانت الجريدة التي تنطق باسم الحاج أمين وأنصاره في فلسطين هي جريدة "الجامعة العربية"، وكان الحزب الذي توحد أنصار الحاج أمين تحت رايته هو "الحزب العربي". وفي ملاحظات سكرتير المندوب السامي كريستوفر ايستوود C. Eastwood والتي كتبها حول الحاج أمين سنة ١٩٣٣ وصفه بأنه "قومي عربي مخلص غيور" كما وصفه في الوقت نفسه بأنه بالدرجة نفسها قيادي إسلامي مخلص في حركة "الجامعة الإسلامية"[٥٢].

لم يكن موقف الحاج أمين من العروبة والجامعة الإسلامية غريباً، إذ إن العديد من رموز فكرة الجامعة الإسلامية قبيل نهاية الحرب العالمية الأولى، كانوا من قادة الجمعيات العربية ففضلاً عن رشيد رضا كان هناك أيضاً محب الدين الخطيب والشيخ كامل القصاب .. وغيرهم. وحتى شكيب أرسلان الذي كان متشككاً في هذه الجمعيات ومناصراً للدولة العثمانية حتى نهايتها، تحول اهتمامه بعد ذلك ليصبح أكثر تركيزاً على القضايا العربية. والهوية العربية كانت بالنسبة لهؤلاء عنصراً إيجابياً في خدمة الإسلام الذي نزل بلسان العرب، وقام العرب أولاً بتبليغ رسالته. والوحدة العربية مرحلة في طريق الوحدة الإسلامية. وقد حمل هذا الفكر نفسه الشيخ **عبد الحميد بن باديس** (١٨٨٩ ـ ١٩٤٠) في الجزائر وردد قوله المشهور:

شعب الجزائر مسلم ... وإلى العروبة ينتسب
من قال حاد عن أصله ... أو قال مات فقد كذب[٥٣]

أما في مجال **القضية الفلسطينية** فلقد اتسم طرح الحاج أمين في الفترة ١٩٢١ ـ ١٩٣٧ ـ وهي الفترة التي تولى فيها منصب الإفتاء ورئاسة المجلس الإسلامي الأعلى ـ بالتركيز على وجوب وفاء بريطانيا بعهودها التي قطعتها للعرب خلال الحرب العالمية الأولى باستقلال البلاد العربية التي كانت ضمن الدولة العثمانية ومنها فلسطين،

---

٥١ انظر مثلاً: **المرجع نفسه**، ص ٣٩٠.

52 C. Eastwoad to H. Downie, 5 Dec. 1933, C.O. 733/248/22.

٥٣ انظر حول العروبة عند بن باديس في: فهمي سعد، **حركة عبد الحميد بن باديس ودورها في يقظة الجزائر** (بيروت: دار الرحاب، ١٩٨٣)، ص ١١١-١١٤.

وبالتأكيد على استحالة نجاح فكرة إنشاء الوطن القومي لليهود في فلسطين. واتسم طرحه بالصبغة السياسية السلمية دون الدعوة المكشوفة للمجابهة العسكرية الجهادية. غير إن ذلك كان واضحاً منذ البداية في المطالبة "بالاستقلال التام"[٥٤]. وأصبح البرنامج السياسي الذي يطرحه ـ وتطرحه الحركة الوطنية الفلسطينية أيضاً ـ يتلخص في:

ـ العدول عن تجربة الوطن القومي اليهودي.

ـ إيقاف الهجرة اليهودية إيقافاً تاماً.

ـ منع انتقال وبيع الأراضي لليهود منعاً باتاً.

ـ إنشاء حكومة وطنية مستقلة ذات حكم دستوري مسئولة أمام مجلس نيابي، وتتمثل فيها جميع العناصر الوطنية، ويضمن للجميع العدل والتقدم والرفاه[٥٥].

ولم يتردد الحاج أمين في كلمته أمام البرلمان البريطاني سنة ١٩٣٠ في الحديث عن أن المعاناة التي تحدث في فلسطين هي بسبب السياسة البريطانية الغاشمة "التي تنفذ في بلادنا رغم إرادتنا" ... "تلك السياسة التي حرمتنا من أي نوع من أنواع الاستقلال" ... "ووضعت القوانين بدون استشارتنا". وقال الحاج أمين إن هذه السياسة هي السبب في إثارة الفتنة ... وإهراق الدماء في البلاد المقدسة التي كان ينبغي أن تكون مركزاً للسلام[٥٦]. وباختصار فإن الحاج أمين يرى ـ حسبما ذكر في مقابلته للجنة الملكية البريطانية "بيل" ١٩٣٧ ـ أنه "ليس من الممكن مهما اتخذ من الوسائل أن يحشر شعبان مختلفان في كل شيء في موطن واحد"[٥٧].

وعندما انكشف دور الحاج أمين في الثورة الكبرى ١٩٣٦، واضطر للهرب إلى لبنان في أكتوبر ١٩٣٧، ظهر الطرح الجهادي والمقاومة المسلحة بشكل مكشوف في حديثه وخطبه باعتباره وسيلة لا بد منها لإفشال المشروع الصهيوني، وإنهاء الاحتلال البريطاني. وقد بنى الحاج أمين تحقيق الأهداف الوطنية والاستقلال على ثلاث ركائز هي: ١ ـ **الإيمان** ٢ ـ **الاتحاد** ٣ ـ **الجهاد**[٥٨]. وتتكرر الإشارة إلى هذه الركائز في مواضع مختلفة من أحاديثه وخطبه فهو يرى أنه "ما دامت الأمة مجمعة الكلمة فلن تستطيع قوة أن تفل عزيمتها، وما دامت قلوبنا عامرة بالإيمان ونفوسنا رخيصة في

---

٥٤ انظر: الكيالي، **وثائق المقاومة**، ص ٣٩١.

٥٥ انظر مثلاً: **المرجع نفسه**، ص ٣٧٩، وص ٤٧٦. **ويوميات أكرم زعيتر: الحركة الوطنية الفلسطينية ١٩٣٥-١٩٣٩**، ط٢ (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٩٢)، ص ٧٦ ـ ٧٧.

٥٦ الكيالي، **وثائق المقاومة**، ص ١٦٨ ـ ١٧٠.

٥٧ **المرجع نفسه**، ص ٤٧٦.

٥٨ حسني أدهم جرار، **الحاج أمين الحسيني: رائد جهاد وبطل قضية** (عمّان: دار الضياء، ١٩٨٧)، ص ٣٠٠ ـ ٣٠١.

سبيل الله والوطن فلا بد من الفوز إن شاء الله"[٥٩]. وفي خطاب له في ١٦ سبتمبر ١٩٦٧ دعا إلى التمسك بالإيمان والوحدة وإعداد ما في الاستطاعة من أسباب القوة والمنعة، وأكد أنه "إذا ما قمنا بتعبئة روحية ثم تعبئة حربية فلا شك في أن الأوضاع تتبدل ويتحقق النصر بإذن الله"[٦٠]. ومن الأمور المهمة التي نبه إليها الحاج أمين محاربة اليأس والقنوط والتحذير من دعاة الهزيمة لأن "الإيمان واليأس لا يجتمعان في مكان واحد"[٦١]. كما دعا بعد الاعتماد على الله إلى الإخلاص والصبر والثبات[٦٢]. وعدَّ من الواجب على العرب والمسلمين العمل على التقشف والعزوف عن الكماليات، وعلى حصر معظم النفقات للمجهود الحربي والتدريب العام[٦٣]. ودعا الشباب لتنمية روح الرجولة والشجاعة. كما دعا علماء المسلمين إلى تحمل مسئولياتهم أمام الله والناس والتاريخ والأجيال القادمة في حماية فلسطين[٦٤].

وتحدث بوضوح حول رأيه في الحلول السلمية المطروحة بعد ضياع فلسطين وإنشاء الكيان الإسرائيلي على أرضها، فقال إن "الوجود اليهودي في فلسطين وجود طارئ ومصطنع وباطل قانوناً ومنطقاً"، وأكد "أن ما يؤخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة". وحذر من الانخداع بالحلول السلمية، وقال إنه في القضية الفلسطينية ليس هناك "أي مكان لتعايش سلمي مع أعدائنا". أما الحل الوحيد الذي يراه فهو "زوال الاحتلال الأجنبي عن فلسطين بكامل حدودها الطبيعية وقيام دولة وطنية فلسطينية من سكان فلسطين المسلمين والمسيحيين واليهود الذين كانوا قبل الاحتلال البريطاني سنة ١٩١٧ وذريتهم من بعدهم. وكل حل غير هذا لا يكون عادلاً، ولا يسترد وطناً، ولا يحقن دماء ولا يصون كرامة"[٦٥].

ولا شك أن موقف الحاج أمين اتسم بالمبدئية ورفض الحلول التكتيكية والمرحلية التي تحتمل أدنى معنى للتنازل، وتعامل مع فلسطين باعتبارها أرضاً إسلامية وأمانة في عنق المسلمين لا يجوز التفريط بها مهما كانت الأسباب. وهو مطمئن إلى أن المسلمين لديهم من

---

٥٩ الكيالي، **وثائق المقاومة**، ص ٣٩٠.

٦٠ الهيئة العربية العليا، **مرجع سابق**، ص ٦٦ - ٧١.

٦١ **المرجع نفسه**، ص ٦٦، وانظر أيضاً نص خطبته في مؤتمر علماء فلسطين ١٩٣٥ في: C.O. 733/278/13.

٦٢ الكيالي، **وثائق المقاومة**، ص ٣٩٢.

٦٣ الهيئة العربية العليا، **مرجع سابق**، ص ٧١.

64 Periodical Appreciation Summary (P.A.S), No. 3/36, Criminal Investigation Department (C.I.D.), Palestine, 3 Mar. 1936, P.R.O., Foreign Office (F.O.) 371/20018.

٦٥ مجلة **شئون فلسطينية**، عدد ٣٦، أغسطس ١٩٧٤، ص ١٥.

الإمكانات والطاقات ما يؤهلهم لتحرير فلسطين لو كانوا متحدين وجادين في ذلك[٦٦].

ومن المهم الإشارة إلى أن الحاج أمين كان يفرق في فكره بين اليهود باعتبارهم يهوداً، وبين الحركة الصهيونية. ونبه الحاج أمين إلى تسامح المسلمين مع اليهود في الماضي وقال إن العرب "لا يقاومون اليهود لأنهم يهود بل إنهم يضطرون لمقاومة السياسة الصهيونية الغاشمة السالبة لحقوقهم ..." [٦٧].

جهود الحاج أمين الإصلاحية:

١ ـ تفعيل الدور الرسالي للمؤسسات الدينية:

من الإشكاليات التي عادة ما تواجه المصلحين، إشكالية ابتعاد المؤسسات والحركات السياسية عن الدين بحيث لم يعد يمثل جوهر فكرها أو يوجه حركتها. وإشكالية انحسار أدوار المؤسسات الدينية التقليدية إلى دوائر العبادة والأحوال الشخصية. وفقدانها لحيوية القيام بأدوار ذات أبعاد نهضوية حضارية.

وقد تمثلت المعادلة الصعبة التي سعى الحاج أمين لتحقيقها في بث الروح الرسالية النهضوية في المؤسسات الدينية، لتقوم بدور وطني ريادي في قيادة الجماهير. وفي المقابل في بث الروح الدينية في المؤسسات الوطنية السياسية لتتخذ من الإسلام منارا، وليتميز عملها بالإخلاص والنظام والتضحية. وإذا كان الحاج أمين قد نجح إلى حد كبير ـ كما سنرى ـ في الطرف الأول من المعادلة، فإن صعوبات حقيقية لم تمكنه إلا من تحقيق نجاح محدود في الطرف الثاني من المعادلة، وإن كان نَفَسُ الحركة الوطنية العام على عهده إيجابياً مع الإسلام والعمل الإسلامي.

تمثل الفترة ١٩٢١ ـ ١٩٣٧ المرحلة الذهبية التي عمل الحاج أمين فيها مباشرة وسط الشعب الفلسطيني، وعلى أرض فلسطين. وهي الفترة التي شهدت صعوده السياسي ليصبح زعيم الشعب الفلسطيني. وإذا كان همه الأساسي الحصول على حقوق الشعب الفلسطيني وحماية المقدسات وإفشال المشروع الصهيوني ـ الاستعماري على أرض فلسطين، فقد كان يفتقر إلى الإمكانات والأدوات المكافئة مادياً وسياسياً وتنظيمياً لمجابهة التحدي. ولذلك فيبدو أنه قد اختار أسلوبين أساسيين لتطوير إمكاناته المادية والسياسية والشعبية:

الأسلوب الأول: العمل من خلال المؤسسات الإسلامية.

---

٦٦ انظر مثلاً: الهيئة العربية العليا، **مرجع سابق**، ص ٦٦.

٦٧ كامل خلة، **مرجع سابق**، ص ٤٦٨.

الأسلوب الثاني: اعتماد السياسة المرحلية.

فمن خلال الأسلوب الأول، سعى للسيطرة خصوصاً على المجلس الإسلامي الأعلى وتوظيفه لحماية حقوق المسلمين وخدمة القضايا الوطنية. ومن خلال الأسلوب الثاني سعى إلى عدم الدخول في مجابهة مكشوفة مع السلطات البريطانية قبل أن تتهيأ الظروف المناسبة لذلك. وقد اضطر مراعاة للمرحلية، أن يركز بشكل ظاهر على الجوانب الدينية في رعاية حقوق المسلمين، وعلى الكفاح السياسي السلمي والعمل التعبوي الإعلامي، وأن يحتفظ بعلاقة طيبة أو معقولة مع المندوب السامي البريطاني في فلسطين. أما الأمور المتعلقة بالمعارضة المكشوفة للسلطات والثورة والمقاومة المسلحة، فتظهر الأدلة أنها كانت على جدوله لكنه كان يتعامل معها بأقصى درجات السرية، وقد تعرض في فترات متوالية إلى ضغوط من المخلصين، وابتزاز من المعارضين، للنزول إلى ساحة المقاومة المكشوفة، لكنه كان يستطيع في كل مرة تجاوز الضغوط مع الاحتفاظ بشعبيته ومكانته[٦٨]، إلى أن قامت الثورة الكبرى في فلسطين، ونزل بنفسه إلى الميدان رئيساً للجنة العربية العليا لفلسطين في ٢٥ إبريل ١٩٣٦.

وحسب رأي أميل الغوري فإن الحاج أمين "يحذق ممارسة خطة السرية والكتمان، ويتقن عملية إخفاء أعماله ومخططاته، وتضليل الحكومة وخصوم الحركة الوطنية بشأن جهوده الوطنية، ودعمه لحركة التمرد والعصيان التي كانت تنمو وتزداد حدة في الأوساط الشعبية"[٦٩].

وقد استطاع الحاج أمين تولي منصبين مهمين ساعداه كثيراً في تحقيق أهدافه، وكانا غطاءين مناسبين لأنشطته وأعماله:

أ. مفتي القدس: استطاع الحاج أمين الحصول على هذا المنصب بعد وفاة أخيه كامل الحسيني في ٢١ مارس ١٩٢١. ورغم ما كان يملكه من علم شرعي لا بأس به إلا أنه قد نافسه في انتخاب المفتي علماء كبار لهم شهرتهم ومكانتهم. غير أن النفوذ العائلي لآل الحسيني لعب دوراً حاسماً في توليه المنصب الذي توارثته عائلته لفترة طويلة. ثم إن الحاج أمين كان قد حقق شهرة شعبية خلال السنوات الثلاث السابقة جعلته في مصاف القيادات الوطنية. وقد شكل الضغط الشعبي عامل ضغط على

---

٦٨ من أمثلة الضغط على الحاج أمين وإحراجه ما عرف بمؤتمر التوريط في ٢٦ مارس ١٩٣٣، لكن الحاج أمين خرج منه منتصراً بعد أن ألقى كلمة قوية في المؤتمر، انظر حول المؤتمر: الكيالي، **وثائق المقاومة**، ص ٣٢٠ ـ ٣٣١.

٦٩ أميل الغوري، **فلسطين عبر ستين عاما** (بيروت: دار النهار، ١٩٧٢)، ص ٢٤٢.

السلطات، فوافق المندوب السامي البريطاني على تعيينه مفتياً. وقد أمل المندوب السامي أن يكبّل الحاج أمين بقيود المنصب ويضبط نشاطه وحركته[٧٠]. غير أن زعماء اليهود وأنصارهم عدُّوا ذلك من أكبر أخطاء المندوب السامي "هربرت صمويل" H. Samuel والذي كان هو نفسه يهودياً صهيونياً[٧١].

وعلى أي حال، فإن الحاج أمين تولى بذلك منصب مفتي القدس، ومكانته كانت مقدمة على مكانة مفتي المدن الآخرين، وعرف بعد ذلك "بالمفتي الأكبر"، و"مفتي فلسطين" وهي أعلى مكانة دينية في فلسطين.

ب. رئاسة المجلس الشرعي الإسلامي الأعلى: وهو المجلس الذي تم تشكيله لرعاية شئون المسلمين الدينية، فيدير الأوقاف ويشرف على نفقاتها، ويقوم بتعيين وخلع موظفي المحاكم الشرعية والأوقاف والقضاة وأئمة المساجد ... وكانت السلطات البريطانية ترغب من خلال إقرار هذا المجلس في التعامل مع المسلمين كطائفة ـ وهم الأغلبية الساحقة في بلدهم ـ وأن تشكل لهم هيئة يعملون من خلالها دون أن يمسوا جوهر الانتداب البريطاني. وقد قبل المسلمون استلام المجلس في سبيل حفظ حقوقهم الدينية، بعد أن كان يتولاها في سلطة الانتداب مسئول "العدل" بنتويش Bentwich وهو يهودي صهيوني[٧٢].

وقد تم انتخاب الحاج أمين رئيساً للمجلس مدى الحياة في ٩ يناير ١٩٢٢ وألقى كلمة بعد انتخابه عاهد فيها على "أن لا تأخذنا في الله لومة لائم، وأن لا تلعب بنا الأهواء ... وإن مقصدنا الأسمى ومثلنا الأعلى هو خدمة البلاد. ونرجو الله أن يجعل أعمالنا خيراً من أقوالنا ..." [٧٣].

وبقيادته للمجلس ـ الذي كان أهم مؤسسة للمسلمين في فلسطين ـــ وجد الحاج أمين نفسه أمام "معادلة" صعبة. إذ كان عليه أن يقود ثلاثة جياد في وقت واحد: من زعامة لحركة "الجامعة الإسلامية" و"الجامعة العربية" والمنصب شبه الرسمي برئاسته للمجلس. إذ في كثير من الأحيان ما يكبل المنصب صاحبه، ويبعده عن الجماهير،

---

٧٠ انظر حول تعيينه مفتياً: **المرجع نفسه**، ص ٥٦ ـ ٥٨، وبيان الحوت، **مرجع سابق**، ص ٢٠١ ـ ٢٠٥، وكامل خلة، **مرجع سابق**، ص ٢٥٢ ـ ٢٥٦.

٧١ انظر مثلاً: انتقاد زعيم الحركة الصهيونية وايزمن لصمويل في ذلك في:

C. Weizmann, *Trial and Error* (London: Hamish Hamilton, 1950), p. 342.

٧٢ كامل خلة، **مرجع سابق**، ص ٤١٤ ـ ٤١٨.

٧٣ **المرجع نفسه**، ص ٤١٧، والماردين، **مرجع سابق**، ص ٤٤.

ويحرق أوراق شعبيته، وكان على الحاج أمين أن يستخدم كل ما لديه من مهارة وحيلة للبقاء على "السروج" الثلاثة[٧٤]، وأن يستفيد من رئاسته للمجلس للاقتراب من الجماهير دون إثارة السلطات البريطانية عليه.

والحقيقة أن الحاج أمين نجح في تحويل المجلس الإسلامي الأعلى إلى كيان ضخم مؤثر وفاعل في البلاد. ويرى "مارلو" Marlowe أن البريطانيين أخطأوا في تقدير الحاج أمين عندما أرادوا أن يقيدوه بالمنصب وأن استخدام هذا الأسلوب كان سياسة خطيرة إذ إنه "هو الرجل الذي إذا أعطى حبلاً كان قادراً على وضعه في استخدامات أخرى بدل أن يشنق به نفسه"[٧٥]!! ويصفه مارلو بأنه "واحد من أقدر السياسيين الذين أنجبهم الشرق الأدنى في السنوات الماضية". وأنه شخص مقتدر جداً وخطير جداً حيث ارتكب البريطانيون خطأ في تقديره لم ينتبهوا له إلا بعد أن كان الوقت متأخراً جداً[٧٦]. وهو ما جعل المندوب السامي البريطاني مكمايكل MacMicheal يصفه ـ فيما بعد ـ بأنه سيد من سادة المكر والخداع[٧٧]. وحتى وزير المستعمرات البريطاني أورمسبي غور O. Gore اكتشف متأخراً في سنة ١٩٣٦ بعد أن قامت الثورة الكبرى في فلسطين بأن السياسة البريطانية تجاه المفتي كانت خاطئة، وأنه لا يثق بالمرة بالمفتي وأنه يعتقد أنه ليس معادياً بقوة فقط لليهود ولكن ضد البريطانيين أيضاً وأنه "خبيث محتال"[٧٨]!! وعلى أي حال، فإن مثل هذا الانزعاج البريطاني ربما اعتبر شهادة وطنية للحاج أمين، ودليل مهارة وتخطيط.

كان المجلس الإسلامي الأعلى مسئولاً عن ١٨ محكمة شرعية، وجهازاً من ٢٥٠ معاوناً، وست دوائر أوقاف يعمل فيها ٥٩٢ موظفاً، وعشر مدارس وكلية إسلامية، وعدة مؤسسات أهمها دار الأيتام الإسلامية ... فضلاً عن المساجد، وما يتبعها من أئمة وخطباء ووعاظ. وكان هناك مئات الموظفين الموزعين في البلاد، ولم يكن للحكومة شأن بهم، وكانوا يختارون من الأذكياء والمخلصين للحاج أمين ... وكانوا بالإضافة إلى وظائفهم بوسعهم أن يتحولوا في أي وقت إلى دعاة يبثون فكر الحاج أمين ولا سيما في الأرياف[٧٩].

---

٧٤ لكريستوفر ايستوود تعليق بهذا المعنى على الحاج أمين، انظر: C.O. 733/248/22.

75 J. Marlowe, *Rebellion in Palestine* (London: The Cresst Press, 1946), p. 74.

76 **Ibid**.

٧٧ علي سعود عطية، "الزعامة السياسية للمفتي الحاج أمين الحسيني بين عهدين: ثورة ١٩٣٦ وما قبلها،" في **المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام "فلسطين"، المجلد الثالث: تاريخ فلسطين** (عمّان: الجمعية العلمية الملكية، ١٩٨٣)، ص ٤٣٠.

78 Jbara, **op.cit.**, p. 151.

٧٩ بيان الحوت، **مرجع سابق**، ص ٢٠٨.

استطاع الحاج أمين أن يجعل من المجلس الإسلامي **مقراً سياسياً** يلتف حوله الأنصار وأصحاب الكلمة في الجماهير، وأن يكوّن لنفسه نفوذاً سياسياً واسعاً[٨٠]. وعُدَّ أعظم دور قام به الحاج أمين في العشرينيات نجاحه في تحويل المجلس إلى كيان مُسيَّس يتميز بهيكلية تنظيمية بلغت بتأثيرها أقصى البلاد[٨١]، **وجعله يحتل مركز الصدارة في العمل الوطني**[٨٢]. وحسب تقرير اللجنة الملكية البريطانية (بيل) **فقد تطور المجلس ليكون أشبه بدولة داخل دولة وحكومة داخل حكومة**[٨٣].

كان البريطانيون قد راهنوا على "التهاء" المسلمين بالمجلس لتفريغ رغباتهم في القيادة والزعامة، وتحقيق بعض المكاسب الدينية مقابل تولي البريطانيين للسلطات السياسية كاملة، وتوجيه الاقتصاد، والسيطرة الأمنية والعسكرية وتحقيق تهويد تدريجي للبلاد. أما الحاج أمين فيبدو أنه راهن من خلال المجلس على تطوير إمكانات الشعب الفلسطيني، وتعبئته سياسياً ودينياً، وتهيئته لاحتمالات المقاومة الشعبية. كما راهن على توسيع دائرة الصراع من خلال إحياء اهتمام العالم الإسلامي بمصير فلسطين. وحسب الماريني فإن الحاج أمين بعد انتخابه رئيساً للمجلس، كان يعمل مع إخوانه ليل نهار، ويتصلون بأكبر قدر ممكن من الناس، ويزورون المدن والقرى والأماكن القاصية في فلسطين، إحياءً لروح المقاومة ورصاً وتوحيداً للصفوف[٨٤]. حتى أصبح المجلس على حد قول أميل الغوري الحصن الأول للحركة الوطنية والقاعدة الأساسية التي تنطلق منها المقاومة، وأصبح هناك شعور بأن الحاج أمين هو القوة الدافعة للحركة الوطنية ومركز الثقل في المقاومة الفلسطينية[٨٥].

ومهما يكن من أمر، فإذا كان الحاج أمين قد حقق بعض المكاسب، فإن البريطانيين قد حققوا مكاسب هامة، كان أبرزها عدم وجود تهديد جدي لسلطتهم حتى سنة ١٩٣٦، ونمو الوطن القومي اليهودي إلى درجة خطيرة. وهكذا فإن عنصر الوقت أدى دوراً مزدوجاً وخطيراً مع الطرفين، غير أن "أوراق اللعبة" كانت لا تزال بشكل أكبر لدى الطرف البريطاني ـ الصهيوني.

---

٨٠ **المرجع نفسه**، ص ١٧٧، وص ٢٠٨.

٨١ عطية، **مرجع سابق**، ص ٤٤٤.

82 J. Marlowe, *The Seat of the Pilate: An Account of the Palestine Mandate* (London: The Cresst Press, 1959), p. 102.

٨٣ **تقرير اللجنة الملكية**: الكتاب الأبيض رقم ٥٤٧٩، (تقرير بيل)، النسخة العربية الرسمية (القدس: حكومة فلسطين، ١٩٣٧)، ص ٢٣٧.

٨٤ الماريني، **مرجع سابق**، ص ٥٨.

٨٥ الغوري، **مرجع سابق**، ص ٨١.

٢ ـ بث التدين والروح الوطنية:

إن الربط المحكم عند المفتي بين عملية الإحياء الإسلامي وبين مقاومة المشروع الاستعماري ـ الصهيوني، جعله يضع نصب عينيه نشر الروح الدينية للمحافظة على هوية الأمة والدفاع عن المقدسات، باعتبارها أساساً لأي مشروع مقاومة.

فقد سعى الحاج أمين إلى تفعيل دور المسجد في المجتمع، وبث الروح الإسلامية الوطنية. حتى إن سايمس Symes الحاكم البريطاني لمقاطعة حيفا كتب في تقرير له في ٦ ديسمبر ١٩٢٣ أن أي موظف في المجلس الإسلامي سيكون مركزه الوظيفي غير مأمون، ما لم يظهر حماساً للقضية الوطنية[٨٦].

وخلال فترة رئاسة الحاج أمين للمجلس الإسلامي مثلت **المساجد** مراكز تجمع وتعبئة وانطلاق. ولعب خطباء المساجد دوراً رئيساً في إسقاط تجربة المجلس التشريعي سنة ١٩٢٣ التي حاول البريطانيون من خلاله أن يضفوا شرعية على سياساتهم في فلسطين من خلاله دون إعطاء أي صلاحيات فعلية لهذا المجلس[٨٧]. وكانت المساجد مراكز تعبئة وانطلاق المظاهرات خلال أحداث الصراع على حائط البراق الشريف ١٩٢٨ ـ ١٩٢٩. كما كانت المساجد مراكز انطلاق المظاهرات الدامية في أكتوبر ١٩٣٣ في القدس ويافا[٨٨]. وقامت بنفس الدور في الثورة الكبرى التي انطلقت في إبريل ١٩٣٦، وجاء في تقرير لقائد القوات العسكرية البريطانية أنه "خُطب في المساجد: أنها قد أصبحت حرباً دينية لإنقاذ الأماكن المقدسة من اليهود، الذين إذا أصبحوا مهيمنين على الوضع، فسيعيدون بناء هيكل سليمان مكان المسجد الأقصى"[٨٩].

وحظي **التعليم** بجانب كبير من اهتمامات الحاج أمين، وحرص أن تكون المدارس التي يشرف عليها المجلس مراكز تربية إسلامية وإشعاع وطني. وحاول أن يقدم بديلاً مناسباً في مواجهة المدارس الأجنبية التبشيرية، وحلاً لعجز المدارس الحكومية عن تلبية حاجات المسلمين. فكان عدد المدارس التي يديرها أو يدعمها المجلس سنة ١٩٢٤ هو ١٩ مدرسة وفي سنة ١٩٣٦ أصبح العدد ٢٤ مدرسة. وكان المجلس يدعم بشكل

---

86 Uri M. Kupferschmidt, *The Supreme Muslim Council: Islam under the British Mandate for Palestine* (Leiden: E.J. Brill, 1987), p. 73.

٨٧ انظر: كامل خلة، **مرجع سابق**، ص ٢٨٧ ـ ٢٩٤، و Porath, **op.cit.**, p. 153.

٨٨ انظر: بيان الحوت، **مرجع سابق**، ص ٢١٩ ـ ٢٢٢، وص ٢٩١.

89 Palestine Disturbances, Despatch by Vice-Mrashal R. Peirse, 19 Apr. 14 Sep. 1936, P.R.O., War Office (W.O.) 32/4177.

كبير أهم معقلين تربويين وطنيين في فلسطين وهما كلية روضة المعارف في القدس وكلية النجاح في نابلس. كما أنشأ المجلس "الكلية الإسلامية" في القدس لتخريج قضاة شرعيين وموظفي محاكم شرعية، وكان للحاج أمين هدف غير معلن من إنشائها يتمثل في جعلها مركزاً وطنياً، وجرى افتتاحها سنة ١٩٢٣ لكنها أغلقت أبوابها سنة ١٩٢٧ لأن خريجيها لم يتمكنوا من تحصيل وظائف لهم في المجلس، ربما بسبب السياسة الاستعمارية البريطانية التي ضغطت لإفشال التجربة. أما مفخرة المجلس الإسلامي فكانت إنشاؤه ـ بعد تشكيله مباشرة ـ "دار الأيتام الإسلامية" في القدس. وسعى الحاج أمين من خلال إنشائها إلى الحفاظ على أيتام المسلمين من الوقوع بيد المدارس التنصيرية الأجنبية وقد حققت هذه الدار سمعة ممتازة، فبالإضافة إلى التعليم كان الطلبة يحصلون على تدريب مهني من صناعة سجاد وغزل وخياطة وصناعة أحذية، وتجليد كتب، وطباعة، وحدادة، ونجارة وغيرها. وكان لمطبعة دار الأيتام سمعة طيبة وتتلقى طلبات الطباعة من كل أنحاء فلسطين، وكل مطبوعات المجلس الإسلامي وجريدة "الجامعة العربية" كانت تطبع هناك. وكانت قاعاتها مركزاً للاجتماعات السياسية والمناسبات والمحاضرات الهامة[٩٠].

ووفر المجلس الإسلامي عشرات المنح للطلبة للدراسة في الجامعات في الخارج. فدرسوا الهندسة والآثار الإسلامية في الجامعات الألمانية، كما درسوا في الجامعة الأمريكية ببيروت، بينما درس آخرون الشريعة في الأزهر[٩١].

وكان في فلسطين **مواسم دينية** يحتفل بها المسلمون كل عام مثل موسم النبي موسى في القدس، والنبي صالح في الرملة، والنبي روبين جنوب يافا، والنمل في المجدل ... وغيرها. وكان للحاج أمين يدٌ طولى في تنشيط هذه المواسم وتوجيهها وجهة إسلامية وطنية[٩٢]. إن نجاح التجربة الإصلاحية للحاج أمين يكمن هنا في أنه نفخ الروح في تلك المواسم التي اكتسبت مع الزمن طابعاً تقليدياً موروثاً بارداً، وقفز بها إلى حيوية متفاعلة مع التراث معتزة بهويتها الإسلامية ... تستعصي على الاستلاب الثقافي والانهزام النفسي. وفي هذه المواسم ـــ وكان أهمهما موسم النبي موسى في

---

٩٠ انظر حول ما سبق: عجاج نويهض، **مرجع سابق**، ص ٦٧ ـ ٦٨، وص ١٣٦، وص ٣٣٥ ـ ٣٤٠، وعوني جدوع العبيدي في كتابه **صفحات من حياة الحاج أمين الحسيني** (الزرقاء، الأردن: مكتبة المنار، ١٩٨٥)، ص ٤٢ ـ ٤٤، وانظر: Kupferschmidt, **op.cit.**, pp. 140 - 142.

91 Kupferschmidt, **op.cit.**, p. 224.

٩٢ الغوري، **مرجع سابق**، ص ٤٥، والشقيري، **مرجع سابق**، ص ١١٢.

القدس ـ كان يشارك عشرات الألوف يظهرون الروح الرجولية الإسلامية وينشدون الأناشيد الوطنية، ويهتفون ضد الانتداب والصهيونية، ويطالبون بالاستقلال والحرية. ويضيف بهجت أبو غربية في مذكراته أن هذه المواسم "شكلت متنفساً وطنياً لنا ... وكان لهذه المواسم شأن كبير في ثقافتنا الشعبية وتعلقنا بأمجاد أمتنا"[٩٣].

وبالمثل فقد اتخذت الاحتفالات بمناسبات "المولد النبوي" طابعاً إسلامياً وطنياً، واستخدمت لإثارة الوعي بالتحديات المعاصرة. وكان يجري الحديث في كلمات الخطباء والوعاظ عن موقف الرسول ﷺ من اليهود، وعن حرمة بيع الأراضي في فلسطين لليهود وغيرها من الموضوعات السياسية[٩٤].

ووقف الحاج أمين خلف إنشاء **جمعيات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر** سنة ١٩٣٥. وقد سعى الحاج أمين من خلالها إلى أن يقوم العلماء بدور أكثر فاعلية في خدمة مجتمعهم وقضايا أمتهم والحفاظ على الأخلاق والآداب الإسلامية. وقد لقيت دعوته تجاوباً كبيراً من مؤتمر علماء فلسطين الأول في ٢٥ يناير ١٩٣٥ وانتخب المؤتمر جمعيتها المركزية برئاسة الحاج أمين نفسه ومركزها القدس. وخلال فترة وجيزة تمكنت من تأليف ١٥ فرعاً في سائر أنحاء فلسطين[٩٥]. وقد ركزت هذه الجمعيات على خدمة القضايا الوطنية وخصوصاً محاربة بيع الأراضي لليهود. وقامت بحملات كبرى تبين حكم الإسلام في البائع والسمسار ووزعت آلاف النسخ من نص الفتوى التي أصدرها مؤتمر علماء فلسطين الأول برئاسة الحاج أمين والتي تنص على تحريم بيع الأرض لليهود وتحريم السمسرة والتوسط للبيع وتحريم الرضا بذلك أو السكوت عنه. وأن فِعْل ذلك عن علم ورضا يستلزم "الكفر والارتداد عن دين الإسلام باعتقاد حله". ومن يفعل ذلك يُعدُّ عاملاً ومظاهراً على إخراج المسلمين من ديارهم، ومتخذاً اليهود أولياء، ومؤذيا لله ولرسوله وللمؤمنين، ومانعاً لمساجد الله أن يذكر فيها اسمه وساعياً في خرابها، وخائناً لله ولرسوله وللأمانة، ولا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين[٩٦].

وكان العلماء ـ بحث وتوجيه الحاج أمين ــ يعقدون الاجتماعات في القرى والمدن

---

٩٣ بهجت أبو غربية، **في خضم النضال العربي الفلسطيني** (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٩٣)، ص٢٠.

٩٤ انظر مثلاً: P.A.S., No. 11/35, 27 Jun. 1935, C.I.D., F.O. 371/18957.

٩٥ عيسى السفري، **فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية** (القدس: منشورات صلاح الدين، ١٩٨١)، ص٢٢٩-٢٣٠.

٩٦ انظر نص الفتوى في: **وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية ١٩١٨ ــ ١٩٣٩: من أوراق أكرم زعيتر** (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٨٤)، ص ٣٨٨ - ٣٩١.

والبادية، ويأخذون العهود والمواثيق من الجماهير بألاّ يفرطوا في أي شبر من أرضهم. وكان نتيجة هذه الحملات استنقاذ عشرات الآلاف من الدونمات المعرضة لخطر استيلاء اليهود عليها. كما خفّت ظاهرة البيع والسمسرة وتاب الكثيرون منهم عن ذلك[٩٧].

٣ ـ رعاية المقدسات الإسلامية وحمايتها:

كان موضوع المقدسات الإسلامية في فلسطين في صلب اهتمامات الحاج أمين، وشعر أنه من خلال موقعه مفتياً ورئيساً للمجلس الإسلامي الأعلى المسئول الأول عن حماية هذه المقدسات. وكان من أشد ما يثير قلقه وقلق المسلمين المعلومات التي بدأت تتواتر عن أطماع اليهود في الحائط الغربي للمسجد الأقصى "حائط البراق" الذي يسميه اليهود حائط المبكى ويعدُّونه من أقدس مقدساتهم، بل وعن طموحاتهم في هدم المسجد الأقصى وإقامة هيكل سليمان مكانه[٩٨]. غير أن هذه المخاطر شكلت مادة هامة لدى الحاج أمين لتعبئة المسلمين في فلسطين وتوحيد صفوفهم، وأكسبت الصراع طبيعة دينية واضحة، وأصبح الحافز الديني الإسلامي أساساً للمقاومة والمواجهة. ثم إن حماية المقدسات كان محوراً مركزياً في برنامج الحاج أمين لتعبئة العالم الإسلامي واستنهاض المسلمين لمواجهة الخطر الصهيوني.

كان من أوائل إنجازات الحاج أمين عمارة المسجد الأقصى وتجديده بعد أن تقادم عليه الزمن وتعرضت بعض جوانبه وأعمدته لخطر الانهيار. ولأن مثل هذا العمل يحتاج إلى تكاليف كبيرة، فقد أرسل وفوداً إسلامية لجمع التبرعات إلى الحجاز والهند والعراق والكويت والبحرين ومصر خلال ١٩٢٣ ـ ١٩٢٤. وكانت فرصة للحاج أمين ورفاقه لبناء العلاقات وتمتينها مع القيادات والزعامات المسلمة في تلك البلاد، ووفرت غطاء تعبوياً إعلامياً لإثارة اهتمام العالم الإسلامي بقضية فلسطين. وقد أجيزت خطة الإعمار التي كانت تتطلب الكثير من الدقة والعناية في فبراير ١٩٢٤، وأقيم حفل استكمال الإعمار في ٢٦ أغسطس ١٩٢٨ بعد أن اكتسب المسجد الأقصى رونقاً وبهاء متميزين. وكسب الحاج أمين سمعة محلية وإسلامية واسعة وظهر بمظهر "الباني المصلح"[٩٩]. ولعل في إعادة الإعمار هذه رسالة ضمنية لليهود بأن المسلمين لن يفرطوا في المسجد الأقصى وسيبذلون ما يستطيعون لرعايته وحمايته.

---

٩٧ السفري، **مرجع سابق**، ص ٢٣٠.

٩٨ انظر مثلاً: **يوميات أكرم زعيتر**، ص ٢٥٩.

٩٩ حول تجديد المسجد الأقصى، انظر: عجاج نويهض، **مرجع سابق**، ص ٣٤٣ ـ ٣٤٦، والماردينى، **مرجع سابق**، ص ٤٦ ـ ٤٨. وانظر: Kupferschmidt, **op.cit.**, pp. 130 - 131.

ومن جهة أخرى، عندما صعَّد اليهودُ مطالبتهم بحائط البراق الشريف في سبتمبر ١٩٢٨، ونشروا صوراً تمثل هيكل سليمان قائماً مكان المسجد الأقصى يرفرف عليه العلم الصهيوني، قام الحاج أمين ورفاقه بتعبئة شعبية وإسلامية عامة، وشكلوا في ٣٠ سبتمبر ١٩٢٨ "لجنة الدفاع عن البراق الشريف"[١٠٠]. وتحت غطاء هذه اللجنة والمجلس الإسلامي الأعلى تمت الدعوة لعقد مؤتمر إسلامي عام لمسلمي فلسطين. انعقد هذا المؤتمر في الأول من نوفمبر ١٩٢٨ وانتخب الحاج أمين رئيساً له. وفيه تقرر إنشاء "جمعية حراسة المسجد الأقصى والأماكن الإسلامية المقدسة" ومركزها القدس وتقرر أن تنشأ لها فروع في العالم الإسلامي. وقد حرص المؤتمر على إعطاء القضية بعدها الإسلامي فانتخب وفداً من ١٢ عضواً لمقابلة المندوب السامي بالوكالة "لوك" Luke وضم الوفد ثلاثة أعضاء من الوفد اللبناني لإظهار التضامن الإسلامي. وكانت حكومة الانتداب البريطاني في فلسطين تعي جيداً مخاطر توسيع دائرة الاهتمام الإسلامي بقضية "البراق"، ولذلك منعت حضور الزعيم الهندي مولانا محمد علي من دخول فلسطين لحضور المؤتمر، ولم تعطه الإذن بالدخول إلا بعد ثلاثة أسابيع من انتهاء المؤتمر[١٠١].

أما التصعيد اليهودي الأخطر تجاه حائط البراق فكان في أغسطس ١٩٢٩، ونشط المجلس الإسلامي الأعلى بقيادة الحاج أمين في مواجهة الأمر. وخرج المسلمون في مظاهرة كبيرة من المسجد الأقصى في ١٦ أغسطس في ذكرى المولد النبوي. ثم ما لبثت أن تحولت الاحتجاجات والإثارة المتبادلة إلى انتفاضة فلسطينية كبيرة، شملت كل أنحاء فلسطين، وغطت النصف الثاني من شهر أغسطس واضطرت السلطات البريطانية لإحضار تعزيزات عسكرية من مصر ومالطا. وأسفرت هذه الانتفاضة عن مقتل ١٣٣ وجرح ٣٣٩ يهودياً معظمهم على يد العرب، وقتل من العرب ١١٦ وجرح ٢٣٢ معظمهم على يد الجيش البريطاني والشرطة[١٠٢].

وكان دور الحاج أمين الظاهر دوراً دينياً متمثلاً في الدفاع باللسان عن حقوق

---

١٠٠ محمد عزة دروزة، **العدوان الإسرائيلي القديم والعدوان الإسرائيلي الحديث على فلسطين وما جاورها** (بيروت: دار الكلمة، ١٩٨٠)، ج٢، ص ٤٦ - ٤٧. والكيالي، **وثائق المقاومة**، ص ١١٩ - ١٢٦.

١٠١ بيان الحوت، **مرجع سابق**، ص ٢٢٠، والسفري، **مرجع سابق**، ص ١٢٢.

١٠٢ انظر التقرير الرسمي البريطاني حول هذه الأحداث:

Report of the Commission of Palestine Distrubances of August 1929 (Shaw Report). cmd. 3530 (London: H.M.S.O., 1930), p. 65.

المسلمين في أماكنهم المقدسة. و لم تستطع السلطات البريطانية إثبات أي دور تخطيطي أو تحريضي للحاج أمين في الانتفاضة المسلحة[١٠٣]. لكن دلائل متعددة أثبتت فيما بعد أن الحاج أمين كان المدبر الفعلي لهذه الانتفاضة وأنه لعب دوراً سرياً حاسماً في التخطيط لها[١٠٤]. بل ويشير أحد المؤرخين المعاصرين لتلك الأحداث إلى أن الحاج أمين كان يرتب لهذه "الثورة" قبل حدوثها بسنة[١٠٥]. وعلى أي حال، فمن الناحية السياسية والشعبية قادت هذه الانتفاضة إلى اعتبار الحاج أمين أهم شخصية في فلسطين، واكتسبت طبيعة الصراع بعداً دينياً عقائدياً.

و لم يمض وقت طويل حتى خطا الحاج أمين خطوة رمزية للفت أنظار العالم الإسلامي تجاه القدس. فعندما توفي الزعيم الهندي محمد علي عرض الحاج أمين دفنه في القدس بجوار المسجد الأقصى. وقد وافقت عائلته، وأقيمت له جنازة مهيبة في ٢٣ يناير ١٩٣١ شارك فيها حوالي ١٥ ألفاً وحضرتها شخصيات إسلامية كبيرة على رأسها الزعيم الهندي شوكت علي (أخو الفقيد) والزعيم التونسي عبد العزيز الثعالبي، ورئيس جمعيات الشبان المسلمين عبد الحميد سعيد وغيرهم[١٠٦]. ونمت بعد ذلك أكثر فأكثر صلة واهتمام القارة الهندية بقضية فلسطين.

وقد نجح الحاج أمين الحسيني في إيصال العالم الإسلامي إلى قمة تعبئته لقضية المقدسات الإسلامية في فلسطين وخصوصاً "البراق" في **المؤتمر الإسلامي العام** الذي عقد في القدس ٧ ـ ١٧ ديسمبر ١٩٣١ برئاسة الحاج أمين، وحضرته وفود إسلامية من ٢٢ بلداً، شملت معظم الأقطار العربية في آسيا وإفريقيا، كما جاءت وفود من إيران وجاوة وألبانيا ووسط آسيا وسيلان والبوسنة والهند والصين ونيجيريا وإفريقيا الوسطى وأوغندا وأمريكا الشمالية والجنوبية. وكان من أهم أهداف المؤتمر إظهار التضامن الإسلامي العالمي مع أبناء فلسطين والوقوف صفاً واحداً في حماية المقدسات وخصوصاً حائط البراق. كما هدف المؤتمر إلى تنمية التعاون بين المسلمين والنظر في الشئون التي تهمهم. وقد حضر هذا المؤتمر رجالات كبار من أمثال الشيخ رشيد رضا، والمفكر

---

١٠٣ انظر: المرجع السابق، **وتقرير بيل**، ص ٢٣٤ ـ ٢٣٥.

١٠٤ انظر: بيان الحوت، **مرجع سابق**، ص ٢٣٠.

١٠٥ إحسان النمر، **قضية فلسطين في دورها البلدي** (نابلس، فلسطين: جمعية عمال المطابع التعاونية، دون تاريخ)، ص١٩٣.

١٠٦ جرار، **مرجع سابق**، ص ١١٠ ـ ١١٤، وانظر:

Monthly Work Summaries, Vol. 2, 1931 - 1933, P.R.O., Air Ministry Files (AIR) 5/1246.

الهندي محمد إقبال، والزعيم الهندي شوكت علي، وعبد العزيز الثعالبي، وضياء الدين الطباطبائي رئيس وزراء إيران الأسبق، والمجتهد الشيعي العراقي الكبير محمد الحسين آل كاشف الغطاء، ومحمد علي علوبة، وشكري القوتلي، ورياض الصلح ... وغيرهم[١٠٧].

أما قرارات المؤتمر فقد أكدت على إسلامية "البراق" والتعاهد على الدفاع عنه، وأكدت دعمها للمسلمين في ليبيا، واحتجت بشدة على القمع الفرنسي البربري في المغرب واستنكرت السياسات الاستعمارية البريطانية والفرنسية في البلاد الإسلامية. ومن الناحية العملية قرر المؤتمر إنشاء جامعة إسلامية باسم "جامعة المسجد الأقصى الإسلامية"، وإيجاد دائرة معارف إسلامية، وتأسيس شركة لإنقاذ الأراضي في فلسطين، كما تقرر عقد المؤتمر كل سنتين[١٠٨].

ورغم أن قرارات المؤتمر كانت متقدمة في وعيها وشمولها إلا أن صعوبات عملية حالت دون تنفيذها، كان أهمها وقوع معظم بلدان المسلمين تحت وطأة الاستعمار الغربي، وليس أمر حكمها بيدها. وكان من أبرز أمثلة ذلك إفشال السلطات البريطانية لموضوع الجامعة الإسلامية التي كانت قد اتخذت خطوات جدية لإقامتها على أسس حديثة تجمع بين العلوم الشرعية والتقنية والطب والصيدلة. وقاد الحاج أمين حملة تبرعات لإقامتها وزار الهند سنة ١٩٣٣ يرافقه محمد علي علوبة وهناك انضم إليهما المفكر الهندي محمد إقبال. ولقيت الحملة نجاحاً كبيراً وانهالت التبرعات. غير أن الحكومة البريطانية في لندن أرسلت تعليمات لحكومتها في الهند تطلب بذل كافة الجهود لعرقلة مهمته ومنع تحويل التبرعات إلى فلسطين!![١٠٩]

لم يكن هناك أي منطق لعرقلة إنشاء الجامعة الإسلامية خصوصاً وأن اليهود قد افتتحوا الجامعة العبرية في القدس منذ عام ١٩٢٥[١١٠]. لكن السياسة البريطانية كانت تدرك معنى وجود معقل تربوي إسلامي عالمي في القدس بما يحمله من تربية أجيال إسلامية وتأهيلها، ولفت أنظار الشباب المسلم إلى القدس، وارتفاع مكانة القدس لتؤدي دوراً مركزياً في خدمة المسلمين إلى جانب الأزهر والزيتونة .. وغيرها.

كان من نتائج المؤتمر أن مكانة الحاج أمين قد قويت وارتفعت محلياً وإسلامياً وأصبح

---

١٠٧ انظر: التعالبي، **مرجع سابق**، ص ٣٣٨ - ٣٤٢، وبيان الحوت، **مرجع سابق**، ص ٢٤٦، وص ٨٧٢-٨٧٣.

١٠٨ الثعالبي، **مرجع سابق**، ص ٣٤٧ - ٣٥٩.

١٠٩ بيان الحوت، **مرجع سابق**، ص ٢٤٧ - ٢٤٨.

١١٠ وقد حضر حفل الافتتاح وزير الخارجية البريطاني بلفور Balfour الذي أصدر الوعد المشهور باسمه في ٢ نوفمبر ١٩١٧ بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين. انظر: الكيالي، **تاريخ فلسطين الحديث**، ص ١٩٣.

مقدماً بين الإسلاميين، ورجال الإصلاح في عصره واستطاع الحاج أمين أن يستفيد الكثير من جهود هؤلاء في حماية المقدسات الإسلامية ودعم القضية الفلسطينية.

وقد استمر الحاج أمين على خطه في تفعيل مشاركة المسلمين وتوسيع دائرة الصراع، فاستعان بمجاهدين من خارج فلسطين للإسهام في المرحلة الأولى من الثورة الكبرى إبريل - أكتوبر ١٩٣٦ ودعا فوزي القاوقجي الضابط في الجيش العراقي اللبناني الأصل ليتولى قيادة الثورة[١١١]. ورحب الحاج أمين بانتشار دعوة الإخوان المسلمين في فلسطين، وطور علاقات إيجابية قوية مع الشيخ حسن البنا، وأسهم الإخوان المسلمون في حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ بشكل فعال، وجاء متطوعوهم من مصر وسوريا والأردن والعراق وشاركوا في معارك كثيرة[١١٢].

أما بعد كارثة ضياع معظم فلسطين سنة ١٩٤٨، فقد تركزت أنشطة الحاج أمين في المشاركة في المؤتمرات الإسلامية العامة التي كان هو من أبرز شخصياتها[١١٣].

٤ - تحقيق التضامن الإسلامي - المسيحي في فلسطين:

من الأمور التي تستوقف الدارس للحاج أمين **نجاحه المتميز في كسر الحاجز الطائفي وشعبيته الكبيرة بين نصارى فلسطين الذين قبلوه زعيماً سياسياً لهم**. ولم يمنع كونه شيخاً معمماً ومفتياً ومتولياً لأعلى منصبين دينيين إسلاميين في البلاد من أن يلقى حبهم واحترامهم. كما نجح الحاج أمين في تحقيق وحدة وطنية إسلامية - مسيحية تحت قيادته، وتفعيل دور مسيحيي فلسطين في مواجهة المشروع الاستعماري - الصهيوني. ويعد ذلك **من الأمور النادرة بين رجال الإصلاح** الذين عادة ما يقتصر خطابهم ونجاحهم على أوساط المسلمين وحدها. ذلك أن إحدى إشكاليات الخطاب الإسلامي المعاصر انحصاره مذهبياً ودينياً، وعدم استخدامه لغة مناسبة تستوعب المذاهب والطوائف الأخرى في إطار حضاري إسلامي عام، وتطمئنهم على حقوق المواطنة، لغة تهدئ مخاوف هؤلاء من التعبئة الإعلامية الغربية، وتؤكد لهم أن الإسلام الذي استوعبهم حضارياً طوال القرون الماضية قادر على استيعابهم الآن، وحفظ حقوقهم كاملة.

لقد نجح المفتي الحاج أمين في التركيز على الجوانب الإيجابية التي تجمع بين الطرفين

---

١١١ منير الريس، **الكتاب الذهبي للثورات في المشرق العربي: ثورة فلسطين عام ١٩٣٦** (دمشق: الأديب، ١٩٧٦)، ص٢٤٢.

١١٢ حول حركة الإخوان المسلمين ودورهم في فلسطين، انظر: محسن صالح، **التيار الإسلامي في فلسطين وأثره في حركة الجهاد ١٩١٧ - ١٩٤٨** (الكويت: مكتبة الفلاح، ١٩٨٩)، ص ٤٣٣ - ٤٥١، وص ٤٦٤ - ٤٧٨.

١١٣ جرار، **مرجع سابق**، ص ٢٨٧ - ٢٨٩.

وكان يرى أن المسلمين والمسيحيين ألفوا منذ القدم وحدة متكاملة في البلدان العربية، وأنهم كافحوا دائماً جنباً إلى جنب. وكان هناك عناصر ثلاثة تجمع بين الطرفين هي الوطن والتاريخ المشترك والعدو المشترك الذي يهدد مصير الطرفين[١١٤]. ولعله مما سهل الأمر على الحاج أمين أن معظم مسيحيي فلسطين هم من الأرثوذكس العرب[١١٥]، الذين ينتمون ثقافياً وحضارياً إلى التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية. كما ساعده نظرته الإيجابية للعروبة، وزعامته لحركتها في فلسطين مما وفر غطاء إيجابياً يجمع بين الطرفين المسلم والمسيحي.

وكان من المظاهر اللافتة للنظر أن يقدم زعماء الطوائف المسيحية في القدس عرائض للحاكم السامي البريطاني للقدس في إبريل ١٩٢١ يطالبون فيها بتعيين الحاج أمين مفتياً للقدس!! مما أثار استهجانه، فذكروا له أن أحوال المسيحيين الشخصية تابعة للمحكمة الشرعية وهي بالتالي تابعة لمفتي القدس، وأنهم لا يطمئنون على سلامة الأمور إلا إذا كان الحاج أمين هو المفتي[١١٦].

وبينما كان المسلمون يهتفون في احتفالاتهم ومواسمهم الدينية "سيف الدين الحاج أمين"، **كان المسيحيون ينشدون "حاج أمين يا مفتينا"** في كنيسة القيامة وغيرها[١١٧].

وعندما تقرأ لأحد زعماء مسيحيي فلسطين وقادة الحركة الوطنية الفلسطينية "أميل الغوري" وهو يكتب عن الحاج أمين فكأنما تقرأ لمريد صوفي يصف شيخه!! وقد ظل على ولائه ووفائه للحاج أمين حتى في سنواته العجاف في الخمسينيات والستينيات بعد أن تنكر الكثير له. أما الكاتب والمؤرخ المعروف جورج أنطونيوس فكان يعتقد أن **الحاج أمين "قديس"**[١١٨]!!

وعندما تشكل "الحزب العربي" الذي كان يعدّ "حزب المفتي" أي حزب الحاج أمين، كانت نسبة المشاركة المسيحية فيه عالية بل أكبر من نسبتهم العددية إلى مسلمي فلسطين. فبلغت نسبة مشاركتهم في العضوية ٣١٪ بينما كانت نسبتهم إلى عرب فلسطين في حدود ١١٪ تقريباً[١١٩].

---

١١٤ انظر: الماردينى، **مرجع سابق**، ص ٥١، وص ١٧٤.

١١٥ انظر: إحسان النمر، **مرجع سابق**، ص ٥٩، وص ٨٠.

١١٦ الغوري، **مرجع سابق**، ص ٥٨.

١١٧ **المرجع نفسه**، ص ٥٦ ـ ٥٨، وص ٨٤، وعطية، **مرجع سابق**، ص ٤٣٢.

118 C. Sykes, *Cross Roads to Israel* (London: The English Library, 1967), p. 138.

١١٩ بيان الحوت، **مرجع سابق**، ص ٦٦٠، وص ٦٦٤.

وشارك مسيحيون في منظمة "الجهاد المقدس" التي تشكّلت بقيادة عبد القادر الحسيني في منتصف الثلاثينيات، وبتوجيه وإشراف سري من الحاج أمين، واستمرت مشاركتهم فيها حتى في حرب فلسطين سنة ١٩٤٨، وقام أحد المسيحيين بعملية فدائية مشهورة هي تفجير مبنى الوكالة اليهودية في القدس حيث قتل في العملية[١٢٠].

وظل المفتي يسهر على الوحدة الوطنية، واستطاع تجاوز وإفشال عدة خطط صهيونية ـ بريطانية لضربها. وتكرر اصطناع اعتداءات على المسيحيين ومحلاتهم التجارية أو الإثارة الإعلامية بأن السلطات البريطانية تقرب مسيحيي فلسطين على حساب المسلمين ... لكن الحاج أمين كان يقوم بنفسه بالإشراف على إسكات أي فتنة، ويوجه الأئمة وخطباء المساجد لتهدئة النفوس، وكشف حقيقة مروجي الفتنة بين الطرفين[١٢١].

إن نجاح الحاج أمين في تحقيق التضامن الإسلامي ـ المسيحي والوحدة الوطنية يحتاج إلى مزيد من الدراسة، خصوصاً من المهتمين بحركات الإصلاح في الواقع المعاصر. وهو يمثل استثناء من النقد الذي وجهه مثلاً **طه جابر العلواني** إلى الإسلاميين المعاصرين من عدم قدرتهم على تجاوز هذه الإشكالية[١٢٢].

و لم يمنعه حرصه على الوحدة الوطنية من محاربة الأنشطة التبشيرية "التنصيرية" في فلسطين، وتعبئة الرأي العام ضدها، ومهاجمة المدارس التبشيرية ودورها التغريبي. وكان من أهم أمثلة ذلك الوقوف بقوة ضد المؤتمر التبشيري الذي عقد سراً في القدس أواخر مارس ١٩٢٨، غير أن أمره كشف. وقام الحاج أمين بتحريض الجماهير ضده، ووقعت اصطدامات ومظاهرات في نابلس وغزة وحدث هيجان شعبي اضطر المندوب السامي لإصدار أمر بإيقاف المؤتمر فوراً[١٢٣]. ومن الجدير بالذكر أن مثل هذه المؤتمرات كانت تثير استياء مبسيحيي فلسطين لأنها تسيء إلى علاقتهم بالمسلمين، وتوقع الشقاق بين الطوائف المسيحية، كما كانوا يدركون أن هؤلاء "المنصرين" يعملون لصالح دولهم وغاياتها السياسية[١٢٤].

---

١٢٠ المارديني، **مرجع سابق**، ص ٥١، وأميل الغوري، **مرجع سابق**، ص ٢٤٢ ـ ٢٤٤.

١٢١ هناك أمثلة عديدة على جهود الحاج أمين في هذا الإطار، انظر: **وثائق الحركة الوطنية**، ص ٥٢٣، والغوري، **مرجع سابق**، ص ٢١٨ ـ ٢٢٤، والمارديني، **مرجع سابق**، ص ١١٣ ـ ١١٤.

١٢٢ طه جابر العلواني، "آفاق التغيير ومنطلقاته .. الأزمة الفكرية ومناهج التغيير في الواقع العربي،" في **مناهج التغيير في الفكر الإسلامي المعاصر**، بحوث الندوة المنعقدة في الكويت ٢٤ ـ ٢٦ يناير ١٩٩٤ (الكويت: وزارة الأوقاف (الصندوق الوقفي للثقافة والفكر)، ١٩٩٥)، ص ٥٢ ـ ٥٤.

١٢٣ بيان الحوت، **مرجع سابق**، ص ٢١٤ ـ ٢١٦.

١٢٤ **المرجع نفسه**، ص ٢١٦، والسفري، **مرجع سابق**، ص ١١٨.

٥ ـ الكفاح السياسي:

من الصعب تغطية النشاط السياسي للحاج أمين الذي استمر أكثر من نصف قرن، ثم إن الكثير من الدراسات قد غطت هذا الجانب بكثير من التفصيل. وما يعنينا هنا ـ استكمالاً للصورة ـ أنه من السياسيين القلائل الذين قادوا شعوبهم في هذا القرن وظلوا على ولائهم للإسلام وللفكرة الإسلامية. ولم يضطر في يوم من الأيام أن ينزع عمامته أو جبته أو يحلق لحيته استجابة لمتطلبات المرحلة أو استرضاء لأحد!! كما أنه في الوقت نفسه من المصلحين القلائل الذين تمكنوا من قيادة شعوبهم، وبشعبية عارمة لا يكاد يحلم بها زعيم معاصر!! بل وتعدت شعبيته الإطار المحلي إلى الإطار العربي والإسلامي. وهو مع هذا كله لم يرأس حكومة سياسية تمارس دورها مباشرة على أرض الواقع، ولم تتهيأ له فرص القيادة الفعلية المستقلة لا في عهد الانتداب البريطاني ولا بعده ... واضطر أن يعمل طيلة الوقت تحت هيمنة أو "سقوف" الآخرين. وقضى شطراً طويلاً من حياته مطارداً مبعداً عن وطنه فلسطين.

لقد بلغ من نفوذ الحاج أمين أن وصفه "أحمد الشقيري" وهو أحد معاصريه وأول زعيم لمنظمة التحرير الفلسطينية بأنه كان "ذلك القائد معبود الشعب فلا مكان للتغيير ولا إمكان"[١٢٥]. وفي سنة ١٩٣٨ وصفه عزت طنوس ـ أحد نشطاء الحركة الوطنية في تلك الفترة ـ بأنه كان "في أوج شهرته فما كان من وطني عربي إلا ويريد أن يراه، فهو الزعيم الديني السياسي لحركة المقاومة الفلسطينية. كان بين زواره رؤساء وزارات عرب ووزراء وأعضاء مجالس نيابية وفلسطينيون من جميع طبقات الشعب يؤمنون إيماناً عجيباً بالقائد العربي. كان زعيم الثورة العربية في فلسطين بلا منازع، كلمته هي العليا. هو الحاكم، والوسيط، والحكم"[١٢٦]. وحسب بهجت أبو غربية فإن الحزب العربي "حزب المفتي" كان يحظى بدعم نحو ٨٠٪ من عرب فلسطين[١٢٧]. وحتى قبيل حرب ١٩٤٨ كان لا يزال يتمتع بشعبية كاسحة والكل يدعي الوصل به، وكانت كلمته لا تزال ساحرة التأثير في النفوس[١٢٨].

وقد نمت شخصية الحاج أمين في الثلاثينيات لتصبح من الشخصيات الإسلامية

---

١٢٥ الشقيري، **مرجع سابق**، ص ٣١.

١٢٦ عزت طنوس، **الفلسطينيون: ماض مجيد ومستقبل باهر** (بيروت: مركز الأبحاث، ١٩٨٢)، ص ٢٢٠.

١٢٧ بهجت أبو غربية، **مرجع سابق**، ص ٣١.

١٢٨ شفيق الحوت، **عشرون عاما في منظمة التحرير الفلسطينية ١٩٦٤ ـ ١٩٨٤: أحاديث الذكريات** (بيروت: دار الاستقلال للدراسات والنشر، ١٩٨٦)، ص ٣٢ ـ ٣٣.

الأولى في العالم الإسلامي. وعندما لجأ إلى بغداد سنة ١٩٣٩ إثر انتهاء الثورة الكبرى في فلسطين، لم يمض وقت طويل حتى أصبح شخصية فاعلة في السياسة العراقية فأصبح بإمكانه أن يعين أو يرقّي أو يطرد من يشاء من موظفي الحكومة .. إلى درجة أنه كان وراء تعيين طه الهاشمي رئيساً للوزراء، وزاد نفوذه لدرجة أن الناس أصبحوا ينتظرون رؤيته للتبرك به، كما أن أركان الجيش العراقي كانوا يبدأونه بالزيارة قبل زيارتهم للوصي على العرش العراقي!![١٢٩]

أما الفترة الذهبية للنشاط السياسي للحاج أمين فقد امتدت طوال مرحلة الاحتلال البريطاني ١٩١٨-١٩٤٨. ورغم أنه لم يكن رئيساً للجنة التنفيذية التي تولت قيادة العمل السياسي الفلسطيني حتى ١٩٣٤، ولا عضواً فيها، إلا أنه من خلال المجلس الإسلامي الأعلى كان القوة الدافعة للعمل الوطني وأهم العناصر المؤثرة فيها خصوصاً منذ منتصف العشرينيات. وفي إبريل ١٩٣٦ نزل إلى الميدان وتولى القيادة السياسية المباشرة للشعب الفلسطيني برئاسته للجنة العربية العليا، وتابع قيادته بعد الحرب العالمية الثانية من خلال الهيئة العربية العليا التي تشكلت سنة ١٩٤٦[١٣٠]. غير أنّ تأثيره السياسي قد ضعف ـ كما أشرنا سابقاً ـ بعد حرب ١٩٤٨.

٦ ـ الجهاد والثورة:

وهذه من النقاط التي طرحت بإسهاب حول الحاج أمين. وما يعنينا هنا أن العمل الجهادي كان أصيلاً في فكر ومنهج الحاج أمين. فقد كان وراء إنشاء أول جمعية فدائية سرية للعمل الوطني سنة ١٩١٩ باسم "الكف الأسود" وغيرت اسمها إلى "الفدائية"، وكان أفرادها يتأثرون به كثيراً، ويقسمون أن يفدوا الحاج أمين بأرواحهم. واستمرت بأشكال مختلفة حتى سنة ١٩٢٣[١٣١]. وكان للحاج أمين دور رئيس في أول انتفاضة فلسطينية في إبريل ١٩٢٠، حيث اضطر للهرب وحكم عليه بالسجن غيابياً عشر سنوات ولكن صدر عنه عفو عام بعد ذلك بمبادرة سياسية من المندوب السياسي البريطاني في محاولة لتهدئة الأوضاع[١٣٢]. وكان الحاج أمين مدبر انتفاضة البراق ١٩٢٩. كما شجع تشكيل التنظيمات السرية المسلحة في أواسط الثلاثينيات[١٣٣]. وتولى بنفسه قيادة الثورة الكبرى في

---

١٢٩ عطية، **مرجع سابق**، ص ٤٣٤.

١٣٠ انظر: بيان الحوت، **مرجع سابق**، ص ٣٣٦، وص ٥٤٤ ـ ٥٤٥.

131 Porath, **op.cit.**, p. 129.

١٣٢ المارديني، **مرجع سابق**، ص ٣٩ ـ ٤٠، وعجاج نويهض، **مرجع سابق**، ص ٣١٩.

١٣٣ انظر: الغوري، **مرجع سابق**، ص ٢٣٨ ـ ٢٤٤.

فلسطين بعد أن تمكن من الهرب إلى لبنان في أكتوبر ١٩٣٧. وعندما لجأ إلى ألمانيا أثناء الحرب العالمية الثانية قام بتأسيس نواة لجيش عربي، وتوفير التدريب لأبناء فلسطين وغيرهم، ونشط في تهريب السلاح إلى فلسطين، وأقيمت مخازن أسلحة في رودس وليبيا، حيث خبئت ثلاثون ألف قطعة سلاح لإرسالها في الوقت المناسب إلى فلسطين[١٣٤]. وفي حرب ١٩٤٨ تولى بنفسه الإشراف على جيش الجهاد المقدس[١٣٥].

٧ ـ الدائرة العربية والإسلامية:

تجاوز الحاج أمين الإطار المحلي الإقليمي في فكره وعمله. ورغم أنه كان في فلسطين ما يكفي من الأشغال والهموم والمخاطر إلا أن انتماء الرجل "لمدرسة الجامعة الإسلامية" جعل العالم الإسلامي جزءاً من همومه. بل لعل من العناصر التي جعلته يكسب ودَّ ودعم العالم الإسلامي في قضية فلسطين هو أنه نفسه اهتم بهموم المسلمين وتبنى قضاياهم.

ومما يستحق الإشارة في هذا المقال ترؤسه للجنة "المركزية لإغاثة منكوبي سوريا" التي تشكلت في القدس إثر الثورة السورية سنة ١٩٢٥. وقدمت اللجنة مساعدات علنية من مال ودواء للسوريين، ومساعدات سرية بالسلاح. وشكلت اللجنة العامل الأكبر في إمداد الثورة والثوار، واستمرت في عملها مدة سنتين. وكان إسهام الحاج أمين الفعال في مساندة هذه الثورة سبباً هاماً في ارتفاع مكانته العربية، وسبباً قوياً في بناء علاقات متينة ودائمة مع رجال الحركة الوطنية السورية[١٣٦].

وإثر اندلاع الحرب بين السعودية واليمن، شكل الحاج أمين وفداً للمصالحة بصفته رئيس المؤتمر الإسلامي العام، وتوجه سنة ١٩٣٤ إلى الجزيرة العربية يرافقه هاشم الأتاسي رئيس الكتلة الوطنية السورية، وشكيب أرسلان ومحمد علي علوبة. ونجحت الوساطة وانتهت الحرب بمعاهدة سلام في الطائف في ٢٠ مايو ١٩٣٤[١٣٧].

وعندما كان في ألمانيا أثناء الحرب العالمية الثانية كان يأمل في انتصار ألمانيا ودول المحور على الحلفاء بما فيهم بريطانيا وفرنسا، ودخل في مفاوضات مع ألمانيا شاركه فيها رئيس الوزراء العراقي السابق رشيد عالي الكيلاني. وفي ٢٨ إبريل ١٩٤٤ تمكن

---

١٣٤ المارديني، **مرجع سابق**، ص ٢٠١.

١٣٥ بيان الحوت، **مرجع سابق**، ص ٦١٥، وانظر حول "الجهاد المقدس" في: بهجت أبو غربية، **مرجع سابق**، ص١٥٠ وما بعدها.

١٣٦ بيان الحوت، **مرجع سابق**، ص ٢١٣ ـ ٢١٤.

١٣٧ **المرجع نفسه**، ص ٣١٠.

من الحصول على تعهد رسمي من وزير خارجية ألمانيا فون ريبنتروب بالاعتراف بالحرية والاستقلال للأقطار العربية الواقعة تحت الحكم البريطاني، والعمل على القضاء على الوطن القومي اليهودي[١٣٨]. وتكمن الأهمية هنا في أنه فاوض باسم العرب وليس الفلسطينيين فقط. ورغم أنه "راهن على الجواد الخاسر"، إلا أنه لم يكن هناك جواد آخر يراهن عليه، خصوصاً وأنه كان مطارداً من بريطانيا، ثم إن الموازين العسكرية كانت لا تزال إيجابية بالنسبة لألمانيا في تلك الفترة.

ومن جهة أخرى فقد تدخل لدى ألمانيا لاستخدام نفوذها لإطلاق سراح الأمير عبد الكريم الخطابي قائد الثورة في المغرب ١٩٢٣ ـ ١٩٢٨ ضد الأسبان والفرنسيين، وكذلك الزعماء الوطنيين التونسيين في السجون الفرنسية مثل صالح بن يوسف وبورقيبة وحبيب تامر[١٣٩].

كما وقف أثناء الحرب العالمية الثانية وقفة متميزة مع مسلمي البوسنة الذين عانوا في تلك الفترة من مجازر هائلة قتل فيها نحو ٢٠٠ ألف. فقام بجهود كبيرة مع ألمانيا وإيطاليا لتشكيل فرق عسكرية لمسلمي البوسنة لحماية أنفسهم، وتم ذلك سنة ١٩٤٣ وتعهدت ألمانيا بتدريب القوات وتسليحها. وقد زاد عدد المجندين البوسنيين عن مائة ألف، وسميت الفرقة البوسنية الأولى "خنجر"، وتعهد الحاج أمين المجندين بالتعبئة الروحية، فأنشئ معهد للأئمة لتوزيعهم على الفرقة[١٤٠].

ولئن كانت ظروف الحاج أمين لم تسمح له بالعمل المؤثر المباشر بعد ١٩٤٨، إلا أنه استمر في نشاطه الإسلامي العام عبر المشاركة في المؤتمرات ورئاستها. فرأس مؤتمر العالم الإسلامي المنعقد في كراتشي في ١٩٥١ بحضور ممثلين لـ ٤٥ بلداً. وفي سنة ١٩٥٢ رأس مؤتمر العلماء المسلمين في كراتشي. وفي سنة ١٩٦٢ رأس مؤتمر العالم الإسلامي في بغداد بحضور مندوبي ٣٧ بلداً. وفي سنة ١٩٦٢ شارك في مؤتمر "الرابطة الإسلامية" في مكة المكرمة بوصفه أحد المؤسسين. وقام في العام نفسه برحلة إلى ماليزيا ليرأس المؤتمر الإسلامي لمسلمي الشرق الأقصى. وفي مطلع ١٩٦٥ رأس مؤتمر العالم الإسلامي في مقديشو بالصومال. كما ترأس الدورة الطارئة لهذا المؤتمر في عمان في سبتمبر ١٩٦٧. وظل يتابع نشاطه الإسلامي العام حتى وفاته في ٤ يوليو ١٩٧٤[١٤١].

---

١٣٨ الماردين، **مرجع سابق**، ص ١٩٢.
١٣٩ جرار، **مرجع سابق**، ص ٢٢٦.
١٤٠ الماردين، **مرجع سابق**، ص ٢٠٧.
١٤١ جرار، **مرجع سابق**، ص ٢٨٧ ـ ٢٨٩.

خاتمة:

وبعد، فهل نتجاوز الحقيقة إذا قلنا إن الحاج أمين كان من رجال الإصلاح. لقد كان لتلميذ رشيد رضا رؤيته الإصلاحية، وكان مقدماً بين رجال الإصلاح في عصره. أما ميزته ـ وربما "مشكلته" عند البعض ـ أن أعماله كانت أكثر من أقواله، وأن آثاره العملية كانت أكثر من تأثيراته الفكرية. تُرى، هل هي "مشكلته" هو، أم مشكلة الآخرين الذين يتعرفون على رجال الإصلاح من خلال التنظيرات والأوراق المسطورة، ولا يخطون خطوة إلى الأمام بمحاكمة أعمالهم وإنجازاتهم. وفي رأيي أن قيادة هذا الشيخ المعمم للشعب الفلسطيني لسنوات طويلة ـ في وقت كان العالم الإسلامي يتجه وجهة علمانية ـ تحتاج إلى وقفة تأمل من المهتمين بحركة الإصلاح. كما أن نجاحه الاستثنائي في كسر الحاجز الطائفي، وتحقيق شعبية كبيرة وسط مسيحيي فلسطين، وإنجاز وحدة وطنية تحت قيادته السياسية أمر يثير الإعجاب ـ وربما العجب لدى البعض ـ ويستحق مزيداً من التحليل والاهتمام. أما إنجازاته على الساحة الفلسطينية والإسلامية فمما لا يمكن إنكاره. ولكن ربما كانت مأساة الرجل أنه حُمِّل أكثر مما يحتمل، وواجه تحديات أكبر من طاقاته. وحاول البعض تحميله مسئولية كارثة فلسطين بطريقة سطحية، تتجاوز حقائق الواقع والظروف والإمكانات. وحسبه أنه ـ في رأينا ـ بذل ما يستطيع من جهد وطاقة.